لقمان سليم

الباطل يحرّكم

إسكندر رياشي لُبنان وشُفَعاؤه الشَّياطين

أصدقاء لقمان سليم
FRIENDS OF LOKMAN SLIM

مؤسّسة دار الجديد
Dar al Jadeed

لقمان سليم

الباطل يحرّكهم

إسكندر رياشي لُبنان وشُفَعاؤه الشَّياطين

أصدقاء لقمان سليم
FRIENDS OF LOKMAN SLIM
مؤسّسة دار الجديد
Dar al Jadeed

مؤسّسة دار الجديد
Dar al Jadeed
أصدقاء لقمان سليم
FRIENDS OF LOKMAN SLIM
دارة محسن سليم، جبل لبنان
www.dar-al-jadeed.com
www.LokmanSlim.org

صَدَرَ هذا المُسْتَلّ يوم الخَمِيس الواقع فيه الثالث من شُباط (فبراير) ٢٠٢٢ بعد عامٍ مِنَ اغتيال لقمان سليم في نيحا (الجنوب) منطقة القرار الأمميّ ١٧٠١، المنزوعة السلاح من حيث المبدأ. إلى مُقَدّمَةِ لقمان سليم: الباطِلُ يُحَرِّرُكُم إسكندر رياشي لُبنان وشُفَعاؤه الشَّياطين يضمُّ الكرّاس نصًا لحازم صاغيّة وآخر لزاك هانلي

أنشأته كتابًا: إليسار الرشعيني، خطّ الخطوط الأستاذ علي عاصي، راجع النصوص: وليد بو مهدي وصلاح الچيلاني

أيادٍ بيضاء

• نجوى أبو الحسن لكتاب أندريه دوفانس Le Roman de l'Emir Seif d'après les Anciens Textes Orientaux Paris, 1925
• هالة البزري لتوثيقها مكشوف فؤاد حبيش • فارس يواكيم لتوثيقه الزحليّ
• محمّد الجبّوري لصور ناتاشا رياشي من أرشيفه • رندة الداعوق من المؤسسة اللبنانيّة للمكتبة الوطنيّة لصورة العدد الأوّل من جريدة الصحافي التائه • ملحم رياشي لمكاتفتنا المحبّة • هنري زغيب لموسوعيّته • محمود الزيباوي ذاكرة المدينة الفنيّة • جورج شامي لذاكرته • حسن شمص لصورة إسكندر رياشي وأحمد شوقي من مجلّة الفصول خريف ١٩٧٩ • مروان طحطح لصور متحف دير مار يوحنّا الصابغ الخنشارة • باسل قاسم للدعم الأرشيفي • سلمى مرشاق لدعمها الدائم • محمد المزروعي لبحثه في خزائن الكتب • دير مار يوحنّا الصابغ الخنشارة، الأب إيلي معلوف والأخ أندراوس وجهاد نضّور • سليم ورينيه نصّار لدعمهما المحبّ • ديفيد هيرش لبحثه في خزائن الكتب • نبيلة يحفوفي لصورة إسكندر رياشي من كتاب ليزا وديع الرياشي تاريخ زحلة العام، بيروت ١٩٨٦، ولدعمها البحثي الدائم

طُبع من هذا المُستلّ ٢٠٠ نسخة غير مرقَّمة

مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾

المائدة

لبنان إسكندر رياشي ولقمان سليم

نُزُل

...نَجْزِمُ أنَّ قَتَلَةَ لُقمان سليم لا يَقْرَأون. وأنَّهم، لِحُسْنِ الطَّالِعِ، سَيُحْرَمُون منِ اكتِشَافِ وجُوهٍ له لا ولَمْ تَخْطُرْ لَهم بِبَالٍ، فهم لم يَرَوا في نَبالَةِ العَلَّامَةِ العَاشِقِ، وفي الكاتِبِ اللَّمَّاح واللُّغوِيِّ الشَاهِقِ، والقائدِ الوَطَنِيِّ الشُجاعِ المُشاكِسِ والمُتَواضِعِ ـ سِوى عَدُوٍّ سَعَوا وثابَروا على افتِراسِهِ بالتَّهدِيدِ والوَعِيد والسَّفَه والكَواتِم؛ ولم يُوَفَّقوا ولَن.

منذ أربعِ سنواتٍ، خَرجَ لقمانُ يتَقَفَّى، كما اعتادَ، أثَرَ الكُتُبِ اليَتِيمةِ والفَريدة. يومَذاك، أَهْدَته الصُّدَفُ نُسْخَةً مُهَلهَلَةً من أحدِ أكثَرِ مُؤلَّفاتِ إسكندر رياشي ذُيوعًا: نِسْوان من لبنان. قرأ لقمانُ الكِتابَ الشَعبِيَّ كما يَقْرأ: بِدِقَّةٍ وشَغَف، ثمَّ أقرَأه للخُلَّصِ. ومذ ذاك، صار إسكندرُ ـ التائِهُ والمُغَيَّبُ والمَنسِيُّ ـ

كلمةَ سِرِّنا، وأضْحى بَحثُنا عَنه وعن سِيَرِهِ الشَّيِّقةِ المُنْصَهِرة بسِيَرِ لبنان ـ من نِهايات السَّلطَنَةِ العُثْمانِيَّةِ إلى الانتِدابِ الفرنسيِّ فالاستِقلال ـ فُسَحَ ضَوءٍ ودُعابَة. فمَن يُنادِمُ إسكندرَ ولقمان الراتِعَين في حدائقِ تاريخِ هذا البلدِ التراجيدِيِّ الخَلفِيَّة، يتَدَرَّعُ بالضَحِكِ والدُعابَةِ القاتِمتَين لتَنْفيلِ المَقاتِلِ والحَماقات.

هكذا إذَن صار اللقمانِيّون/ اللقمانِيّاتُ والرياشِيّون/ الرياشِيّاتُ، يَقصِدون/يَقصِدْنَ المَكتباتِ الجامِعِيَّةَ بَحثًا عن مُؤَلَّفاتِه، يُراجِعون/ يُراجِعْنَ مَجْموعاتِ جَريدَتِه **الصحافِيِّ التَّائه**، يَزورون/ يَزُرْنَ مَسقِطَ رَأسِه الخِنْشارَة وزحلة مَدينَتَه الثانية وبيت مري تلَّة الصّحافيِّين والصحافة ـ حيثُ سَكنَ وعائلتُه جوارَ جارَيه غَسَّان تويني وكامل مروّة.

طَرَقوا/ طَرَقْنَ أبْوابًا لا تَخْطُرُ بِبَال، بَيدَ أنَّ الفريقَ كثيرًا ما عادَ بوِفاضٍ خالٍ، أو قُلْ مُيَئِّسٍ. فالإهْمالُ وتَدميرُ الذَاكِرةِ المُمَنْهَجُ، سِمَةٌ مُؤسِّسَةٌ لتاريخِ بَلَدٍ (بلاد) بَرَّأَتْ نَفْسَها، مِحنةً تِلْو الأخرى، منِ ارتِكاباتِها وشَنائِعِها، ووَأَدَتْ شَجاعَتَها وحَداثَتَها وطَرافَتَها.

هكذا ضاعَ إسكندر رياشي، الصّحافيُّ التائِهُ والقَلَمُ الظَريفُ القارِنُ السِياسَةَ ومُتَعَ الحَياة، في زَحْمَة المَقاتِلِ اللُبْنانِيَّة المُسْتَرسِلَة. كُتبه مُبَعثَرةٌ، مُغَيَّبةٌ لجُرأَتِها على الأرجَح؛ فالتَياراتُ المُحافِظَةُ حَدَّ التَزَمُّتِ، أعاقَتْ إعادَةَ نَشْرِها واكتِشافَها. أمَّا سِيرتُه الشَّيِّقةُ ـ بَل قُل سِيَرَه ـ فقَتَلَةُ تاريخِ هذا البَلَدِ العاصِي لم يَتْرُكُوا للُقمان الوَقتَ لاستِئناف بَدْئِها.

قبـلَ لَيلـةِ ٣ شـباط (فبرايـر) ٢٠٢١ ـ لَيلـةِ غَـدْرِ الغادِريـن، ورغـمَ انْشِغالاتِـه، أعـادَ لقمـان قـراءةَ **نسـوان مـن لبنـان** كمـا يَحـلُو لـه أن يَـقْـرَأ ويَكْـتُـبَ ويُدَوِّنَ الهوامشَ ويُـبْـدِع. اِنْـكَبَّ والفَريقُ على تَشْـكيلِ الكِتـابِ وإعَـادَةِ تَـنسيقِهِ بأُسْـلوبٍ لقمانـيٍّ أحْـيا لبنـان الرِّياشـي وهـو رَميـم.

سـامَرَ لقمـان إسـكندرَ، نادَمَـه، وبعـد أنْ أمضَـى سـاعاتٍ طـوالًا يَـجوبُ بيـن أَسْـطُرِ كُـتـبِهِ وكُـتُبِ مَـن عَـرَفَهُ، دَوَّنَ هذه المُقَـدِّمةَ المُحْـكَـمَةَ التـي ـ لـتَواضُعِهِ ـ خَـتَـمَها قائـلًا بأنهـا لا تَـدَّعي التَمامَ والكَمـال؛ وبـأنَّ مـا اجْـتَـهَـدَهُ «دَعـوةٌ مَفـتوحةٌ» إلـى المُسـاهَمَةِ فـي كِتابَـةِ سِـيَرِ الرياشـي.

هـذه المُقـدِّمَةُ المَكتوبَـةُ المَكْتُوبـة هـي دَعـوَةٌ مَفـتوحَةٌ ووَعْـدٌ قَطَعَـتْهُ الجديـد علـى نَفسِـها، لـتَـعْريفِ الخُلّـص الجُـدُدِ الذيـن لم يكتشـفوا بعـد وجـه لقمـان الأبهـى ـ بلُغَتِـه وأُسْـلوبِهِ المُمتَـنِعَينِ السّـامقَين.

هـذه المُقـدِّمَةُ شَـهادةُ أنَّ لـبنان لقمـان أكبـرُ، وبـأنَّ مَـنِ ابْـتَـنى لـنَفسِهِ بَيْتًـا مِـنْ صَخْـرِ هـذه الكَلِمـاتِ ـ أَكْـرَمُ وأَرْسَـخُ وأَبْـقى.

•

عَنْ لُبنان وشُفَعائِهِ الشَّياطين

إسكندر رياشي: الباطِلُ يُحَرِّرُكُم

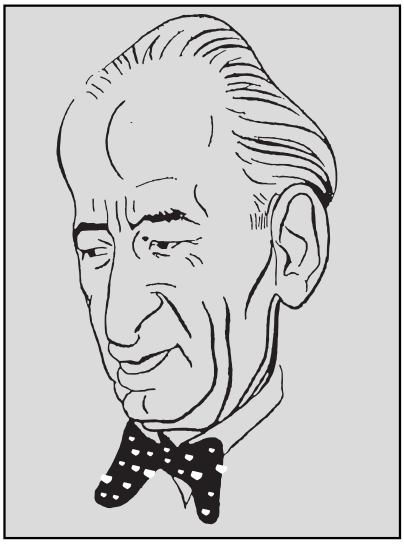

إسكندر رياشي من كتاب **قبل وبعد**، لقمان سليم، بعدسة عبدالله النّعمان
مطابع دار الحياة ١٩٥٣

«إنَّهُ لا يَتَمَسْخَرُ بَلْ يَضَعُ حالَهُ على الوَرَق. إباحَتُهُ لِذاتِهِ هِيَ المَصْدَرُ، والسُّخْرِيَةُ فَرْعٌ مِنْ هذا المَصْدَر. طَرافَتُهُ أنَّهُ يَتَعَرَّى بالكامِلِ، ويَتَحَدَّاكَ أنْ تُجارِيَه. لَمْ يُجارِهِ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الصِّحافَةِ ولا مِنْ أهْلِ الأدَب [...] كارِجٌ كَرْجَ الحَجَلِ، في لُغَةٍ حَيَّةٍ، نِصْفِ شَفَهِيَّةٍ، أشَدُّ ما يُدْهِشُ فيها أنَّها لا تُخاطِبُكَ على أساسِ أنَّها ظَرِيفَةٌ خَفيفَةٌ، بَلْ على أساسِ أنَّها عابِسَةٌ مُتَوَتِّرَةٌ وقَليلَةُ الصَّبْر...».

أُنسي الحاجّ

جان دايَة، «الشَّاعِر أُنْسي الحاجّ: تَعامَلْتُ مَعَ اسْمِ والدي بِشَيْءٍ مِنَ الانْتِهازِيَّة»
الشَّرْق الأوْسَط، ٢٩ آب ٢٠٠٧.

يَـوْمَ يُنْـفَخُ فـي الصُّورِ، ويُوضَـعُ الميزانُ، وَيَمْـثُلُ لُبنـانُ فـي مَوْقِـفِ الدَّيْنونَـةِ، ويُحْصَـى مـا لَـهُ، ويُحْصَـى مـا عَلَيْـه، وَتَـشيلُ كِفَّـةُ السَّـيِّئاتِ التـي أَسَـاءَها إلـى مَـنْ أحْسَـنوا الظَّـنَّ بِـهِ ـ عَـنْ سَـذاجَةٍ مِـنْ هَـؤلاءِ، أوْ عَـنْ حُسْـنِ نِـيَّةٍ، أو عَـنْ طَـيْشٍ وتَهَـوُّرٍ، أيْ عَـنْ رَغْبَـةٍ صَريحَـةٍ أوْ مَكْـتومَةٍ بِـأَنْ يَكـونَ لُبنـانُ لَهُـم، وَبِـأَنْ يَكـونَ مِنْهُـم، وَطَـنًا يَسْـتَحِقُّ الحُـبَّ والإكْبـارَ، بَـلْ ويَسْـتَحِقُّ «البَـذْلَ» في سَبيـلِهِ ـ بَـذْلَ الـرُّوحِ، أوِ الـدَّمِ أوِ الأوْهـام ـ يَوْمـذاكَ، نَـقولُ، يَـوْمَ تَـشيلُ كِـفَّةُ السَّـيِّئاتِ علـى كِـفَّةِ الحَسَـناتِ، وَيُسْـأَلُ لُبنـانُ، قَـبْلَ النُّطْـقِ بِالحُكْـمِ عَلَيْـهِ بِمـا يُجـازَى بِـهِ مَـنْ كانَ دَيْدَنُـهُ قِـلَّةَ الوَفـاءِ، والحَنْثَ بالعُهـودِ، والإخْـلافَ بالوعـودِ والمَواعيـد ـ ويُسْـأَلُ، مِـنْ بَـابِ رَفْـعِ التَّكْليـفِ، أنْ يَأْتِـيَ بِمَـنْ يَشْـفَعُ لَـهُ ويَتَوَسَّـل، فَمَـا مِـنْ شَـكٍّ بِـأنَّ إسْـكَنْدَرَ الرياشِـيَّ ـ الرَّجُـلَ ذا الوُجـوهِ الكَـثيرَةِ ـ حتَّـى لَيُظَـنَّ أنْ لا وَجْـهَ لَـهُ وإنَّمـا وَجْهُـهُ الأقْـنِعَةُ التـي لا يَفْـتَأُ يُبَـدِّلُها ـ وَالصُّعْلـوكَ الأنيـقَ، وَ«الصِّحافِـيَّ»، و«التَّائِـهَ» فـي حَياتَـيْهِ الشَّـخْصِيَّةِ والعامَّـةِ ـ مَـا مِـنْ شَـكٍّ بأنَّـهُ، ومَـنْ هُـم فـي مَنزِلَـتِهِ ـ أولَئِـكَ النَّـفَـرُ مِـنْ شَـياطينِ الإنْـسِ المَكْـتوبينَ، علـى غَيْـرِ قَصْـدٍ مِنْهُـم، أحْيانًـا كَثيـرَةً، فـي خانَـةِ «الأبْنـاءِ» مِـنْ قَـيْدِ لُـبْـنانَ ـ مـا مِـنْ شَـكٍّ بـأنَّ الرِّياشِـيَّ يَسَـعُهُ أنْ يَشْـفَعَ بالبَلَـدِ الصَّغيـرِ، لُبنـانَ، فَـوْقَ مـا يَسَـعُ القِـدِّيسينَ والأوْلِيـاءَ والأبْطـالَ والشُّـهَداءَ مِنْ ذَوي السِّـيَرِ العَطِرَةِ حَدَّ الاخْتِـناقِ

بِعطْرِهـا، والأخْـلاقِ الرَّفيعَـةِ حَـدَّ الهُـزالِ، والمَبـادِئِ الرَّاسِـخَةِ حَـدَّ الشَّـلَل، أنْ يَفْعَلـوا ـ بَـلْ أنْ يَفْعَلـوا فُـرادَى وبالاتِّحـادِ... وإذ يَتَـقَدَّمُ الرِّياشِـيُّ هـذا النَّـفَرَ فلَيْـسَ لأنَّـهُ لَـمْ يَخْشَ فـي الحَـقِّ لَوْمَةَ اللُّـوَّامِ، بَـلْ لأنَّـهُ لَـمْ يَخْشَـها فـي البَاطِـلِ والضَّـلالِ، وفـي الخِفَّـةِ والعَبَـثِ واللَّهْـوِ والمُجـون... وفـي التَّصْريـحِ بِذلِـكَ جَميعًـا، وفـي المُجاهَـرَةِ بـه حتَّـى لا يَدَعَنَّ لـقائلٍ قِـيلا ولا لِـمُغْـتابٍ نَـمَّامٍ سَـبيلا...

وإذا كانَ إسْـكَنْدَرُ الرِّياشـيُّ الصِّحافـيُّ والكاتِـبُ والمُتَرْجِـمُ بِرَسْـمِ أنْ يُقـرَأَ فـي المَقـالاتِ والكُـتُبِ التـي نَشَـرَها، وفـي الصُّحُـفِ التي أنْشَـأَها، وإذا كانَ إسْـكَنْدَرُ الرِّياشـيُّ «المُغامِـرُ» بِرَسْـمِ أنْ يُقْـرَأَ فـي مـا سـافَرَهُ مِـنْ أسْـفارٍ وجابَـهُ مِـنْ أفْـكارٍ وَمِـنْ آفـاقٍ سَـواءً بِسَـواءٍ، وإذا كانَ إسْـكَنْدَرُ الرِّياشـيُّ «السِّياسـيُّ» بِرَسْـمِ أنْ يُقْـرَأَ في تَشَـوُّشِ مَواقِـفِهِ، وَفـي غُمـوضِ مـا اتَّصَـلَ بَيْـنَهُ وبَيْـنَ أهْـلِ الحَـلِّ والرَّبْـطِ مِـنَ اللُّبنانِيِّـينَ ومِـنْ غَيْـرِ اللُّبنانِيِّـينَ مِـنْ صِـلاتٍ ـ وَهـوَ غُمـوضٌ يَزيـدُ مِنْـهُ أنَّـهُ لَـمْ يَخجَـلْ مِـنَ الصُّـدوعِ بِهـذه الصِّـلاتِ، ولا تَعَفَّـفَ عَـنْ سَـرْدِ الكَثيـرِ مـن تَفاصِيـلِها ـ وفـي مـا راوَدَتْـهُ المناصِـبُ عـن نَفْـسِهِ، فالأرْجَـحُ أنَّـهُ، بِوَصْفِـهِ جِمـاعَ كُلِّ هُـؤلاءِ ـ جِمـاعَ الصِّحافـيِّ وَالكاتِـبِ وَالمُتَرْجِـمِ وَالمُغامِـرِ وَالسِّياسِـيِّ وزِيـرِ النِّسـاءِ الفاسِـقِ المـارِقِ بَيْـنَ العَشـيقاتِ، الحَقيقيَّـاتِ والافْـتِراضِـيَّاتِ، مُـرُوقَ السَّـهْمِ مِـنَ الرَّمِيَّـةِ، الكَسَّـابِ بِالحَـلالِ والحَـرامِ، مَـعَ إيثـارٍ للثَّانـي علـى الأوَّلِ، المُبَـذِّرِ علـى مَتـاعِ الدُّنْيـا، المِتْـلافِ المُسْـرِفِ إلـى آخِرِه... ـ الأرْجَحُ أنَّ إسْكَـنْدَرَ الرِّياشـيَّ هذا لا يُقْـرَأُ فـي كِتـابٍ طَالَعَـهُ بإحْـدى اللُّغـاتِ التـي أجادَهـا، أوْ فـي كِتـابٍ وَضَعَـهُ، أو فـي مُغامَـرَةٍ، (حَقيقيَّـةٍ أوِ افْـتِراضيَّةٍ، نِسـائِيَّةٍ أوْ سِياسِـيَّةٍ)، خاضَهـا، أو فـي سُـلوكٍ سَـلَكَهُ، أو فـي «عَهْـدٍ» مِـنْ عُهـودِ

(١) للرِّياشـيّ، فـي مـا نعلـم، كِتـابٌ واحِـدٌ باللُّغَـةِ الفَرَنْسِـيَّةِ عُنْوانُـهُ *Nous Vivons avec les Dieux* («نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة»)، وهـذا الكِـتابُ هـوَ الأدْنـى بَيْـنَ مُؤَلَّفاتِـهِ مِـنْ حَيْـثُ تَسَلْسُـلُ السَّـرْدِ فيـهِ، وعلـى مَـرِّ فُصولِـهِ، إلى السِّـيرَةِ الذّاتِـيَّةِ الصَّريحَـةِ، وَلَوْ أنَّ الذّاتِـيَّ لَـدَى الرِّياشـيِّ قَـلَّما يَنْـفَصِلُ عَـنِ العـامِّ والعَـامَّ عَـنِ الذّاتِـيِّ. فـي الفَصْـلِ الأوَّلِ مِـنْ هـذا الكِتـابِ يَقـولُ إنَّـهُ لا يَعْـرِفُ تاريخًـا دَقيـقًا لِـمَوْلِدِه.

يَـرِدُ فـي مُسْـتَهَلِّ الكِـتابِ، وعلـى خِتامِـهِ، أنَّـهُ «الجُـزْءُ الأوَّل» (*Tome I*). حتَّـى إثْبـاتِ العَكْـسِ، فـإنَّ الكِـتابَ الـذي بَيْـنَ أيْدينـا هـوَ الجُـزْءُ الواحِـدُ وَالوَحيـدُ مِـنْ «**نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**». لا تاريـخَ نَشْـرٍ صَريحًـا وإنَّمـا يُسْـتَدَلُّ علـى ذَلِـكَ تَقْريبِيًّـا مِـنْ إهْدائِـهِ إلـى رَئيـسِ الجُمْهوريَّـةِ كميـل شـمعون وَزَوْجِـهِ زَلْفـا. وبِمـا أنَّ الشَّـيْءَ بالشَّـيْءِ يُذْكَـر، لا بَـأْسَ مِـنَ الإشـارَةِ إلـى أنَّ ناشِـرَ الكِتـابِ المَزْعـومَ هُـوَ دارُ نَشْـرٍ تُدْعـى « *Edition Julia Felix* » (كَذا).

ثلاثَـةٌ تَدْعـو إلـى التَّشْـكيكِ بـأنَّ الناشِـرَ ليـس مِـن أحـدٍ سـوى الرِّياشِـيِّ نَفْسِـه:

(أ) لا أثَـرَ لِـدارِ نَشْـرٍ بِهـذا الاسْـمِ فـي لُبنـانَ أوْ خارِجَـهُ، (ب) لا عُنْـوانَ لِـدارِ النَّشْـرِ هـذِهِ، (ج) التَّسَـرُّعُ الرِّياشِـيُّ المَوْصـوفُ الـذي يَشِـي بِـهِ خُلُـوُّ « *Edition* » مِـنَ الـ« s » ـ عَلامَـةِ الجَمْـعِ الحُكْمِيَّـةِ فـي هـذا المَقـام!

نُحِيـلُ فـي مـا يأتـي إلـى الطَّبْعَـةِ الأُولـى والوَحيـدَةِ مِـنْ «**نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**» مُؤَمِّليـنَ أنْ نُحيـلَ عَمّـا قَريـبٍ إلـى طَبْعَـةٍ مُسْـتَأْنَفَةٍ بِعِنايَـةِ «دارِ الجَديـد» وَتَوْقيعِهـا.

لُبنـانَ انْـبَرى، علـى بَيِّنَـةٍ مِنْ فَسـادِهِ وفسـادِ أهلِـه، للدِّفـاعِ عَنْـهُ ـ الأرْجَحُ أنَّـهُ لا يُقْـرَأُ إلَّا علـى هَـدْيٍ مِـنَ المصادفـات التـي حَـلا لهـا أنْ يُولَـدَ فـي الخِنْـشارة، (مِـنْ أعْمـالِ المَتْـنِ الشَّـماليِّ مِـنْ جَبَـلِ لُبنـان)، حَوالَـي ١٨٩٠، علـى مَغـارِبِ القَـرْنِ التّاسِـعَ عَشَـرَ، أيْ علـى الهَزيـعِ الأخيـرِ مِـنْ عُمْـرِ السَّلْطَـنَةِ العُثْـمانِيَّةِ، أيْ قَبْـلَ ثَلاثيـنَ عامًـا مِـنْ ذَلِـكَ اليَـوْمِ مِـنْ غَـدَواتِ الحَـرْبِ العالَمِـيَّةِ الأُولـى الـذي شـاءَتْ ظُـروفٌ ومَقاديـرُ أنْ يَنْـزِلَ مِـنْ «لُبنـانَ الدَّوْلَـةِ»، بالمَعْنـى القانونـيِّ لِلْكَلِمَـةِ، بقُـدرَةِ حاكـمٍ عَسـكَرِيٍّ فَرنْـسِيٍّ، مَنْـزِلَةَ يَـوْمٍ، يَـوْمِ الميـلادِ ـ وهـي ظُـروفٌ ومَقاديـرُ يَتَلَـذَّذُ الرِّياشـيُّ فـي الشَّـهادَةِ عَلَيْهـا، وفـي رِوايَـةِ مـا يَعْرِفُـهُ، بالتَّجْرِبَـةِ الشَّـخْصِيَّةِ، مِـنْ تَفاصيلِهـا ومُلابَسـاتِها تَلَـذُّذَ «قابِلَـةٍ قانونِيَّـةٍ»، قَليلَـةِ المُبـالاةِ بـآدابِ المِهْـنَةِ، بالشَّـهادَةِ علـى مـا حَضَرَتْـهُ مِـنْ وِلادات...[١]

بَـلْ أكْثَـرُ مِـنْ ذَلِـك: بِمَعْـنًى مـا،

دير مار يوحنّا الصابغ، الخنشارة، بعدسة مروان طحطح

لا شَطَطَ في القَوْلِ إنَّ إسْكَنْدَرَ الرِّياشِيَّ يَرَى إلى «لُبنانَ» ـ لُبنانَ على ما انْتَهى إلَيْنا، وعلى ما نَعْرِفُهُ نَحْنُ، وعلى ما نَحْمِلُهُ مِنْ مَحْمَلٍ، لبنانَ الدَّوْلَةِ ورِجالِها وعائِلاتِها، الشَّعْبِ، الجُمهوريَّةِ، المُؤَسَّساتِ، الرُّموزِ والشَّاراتِ والأعْيادِ المَوْصوفَةِ بالوَطَنِيَّةِ والمُناسَباتِ التي يُرادُ لها أنْ تَكونَ جامِعَةً، إلخ... ـ يَرَى إلَيْهِ بِعَيْنِ ما لَهُ، هُوَ، الرِّياشِيُّ، عَلَيْهِ، على لُبنانَ، مِنْ حَقٍّ بُكورِيَّةٍ لا مِراءَ فيه، لا على ما لِلُبنانَ عَلَيْه...

ومَنْ يُطالِعُ أدَبَ الرِّياشي، و«قِلَّةَ أدَبِهِ»، وسيرَتَهُ، على ما دَوَّنَها بِنَفْسِهِ، لا يَعْتَمُ أنْ يَسْتَدِلَّ، ثُمَّ أنْ يَتَثَبَّتَ، أنَّ هذا الحَقَّ التَّكْوينِيَّ هُوَ مُسْتَنَدُهُ في اسْتِخْفافِهِ بِكَثيرٍ مِنْ أقْداسِنا ـ لا مُسْتَثْنِيًا «الوَطَنِيَّةَ» مِنْها و«الدِّينِيَّة»، عِلمًا أنَّ هذهِ البُكورِيَّةَ، بُكوريَّةَ الرِّياشِيِّ، وَهيَ، بالطَّبْعِ، لَيْسَتْ ممَّا يَنْفَرِدُ

بـه، لا تُقـاسُ بالسَّـنَواتِ فَحَسْـبُ وإنَّمـا بِمـا راكَمَـهُ، ولا سِـيَّما فـي شَـبابِهِ، مِـنْ تَجـارِبَ حياتِـيَّةٍ ومِـنْ مَعـارِفَ كُتُـبِيَّةٍ، وفَـوْقَ ذَلِـكَ جَميعًا بِمـا ارْتَضـاهُ لِنَفْـسِهِ نَهْـجَ حَيـاةٍ ومِنْهـاج.

مِـنَ القَليـلِ المُتَوَفِّـرِ عَـنْ سِـيرةِ إسْـكَنْدَرَ الرِّياشـيِّ أنَّـهُ كانَ الثّانِـي بَيْـنَ خَمْسَـةِ أوْلادٍ مـاتَ عَنْهُـم والِدُهُـم بَرْجيـس بِعُمْـرِ المَسِـيح (٣٣ عامًـا)[٢]، وأنَّ روزا زَلْـزَل، والِدَتَـهُ، كانَـتْ «فِتْـنَةَ القَرْيَـةِ» وأنَّهـا «أوَّلُ امـرأةٍ بُهِـرَ بِجَمالِهـا»، وَأنَّ حُسْـنَهُ هـوَ، وَهـوَ حُسْـنٌ لا يَزْهَـدُ، هُنـا وَهُنـاكَ، فـي تَزْكِيَتِـه بالتَّـفاصيلِ،[٣] وفـي تَـقْريظِ مـا أشْـرَعَهُ لَـهُ مِـنْ مَخـادِعَ، وَوَطَّـأهُ لَـهُ مِـنْ أسِـرَّةٍ عالِيَـةِ المَقـامِ،[٤] هـوَ بَقِـيَّـتُها فيـه![٥]
بَيْـنَ الحَداثَـةِ والمُراهَقَـةِ، ارْتـادَ الرِّياشـيُّ مَدْرَسَةَ «الكُلِّـيَّةِ الشَّرْقِـيَّة» المُلْحَقَـةَ بِـدَيْرِ مـار يُوحَـنَّا الصّابِـغ التـي كانَ افْتِـتاحُها علـى خَريـفِ ١٨٩٨؛ وخِـلالَ الثَّمانِـيَةَ عَشَـرَ شَـهْرًا التـي قَضاهـا فـي هـذِهِ المَدْرَسَـةِ، أُغْـرِمَ، علـى ذِمَّتِـهِ، بـ«سَـلْوى» التـي

(٢) يَرْفَـعُ صَقْـر صَقْـر نَسَـبَهُ علـى النَّحْـوِ الآتـي: «هـوَ [إسكَـندَر] بـنُ بَرْجيـسَ بـنُ يعقـوبَ بـنُ يوحَنَّـا الرِّياشـي. وَهُـم فَـرْعٌ مِـنْ أُسْـرَةِ الحَـدَّاد. قَـدِمَ جَدُّهُـم مَخْلـوف بـنُ داود بـنُ شـرفان بـن داود أو جبرائيـل الحَـدَّاد الحَوْرانـي إلـى قَرْيَـةِ زَبَّوغَـة بِلُبْنـانَ ولُقِّـبَ بالرِّياشـيِّ ثُـمَّ انْتَـقَلَ أولادُهُ مِنْها: حـنَّا سـارَ إلى طرابلـس ويُوسُـفُ إلـى قـاعِ الرِّيـم، ويعقـوبُ سَـكَنَ الخِنْـشارة»، «قصَّـة الصِّحافـة فـي لُبنان»، إعـداد صقـر يوسـف صقـر، **معلومـات**، العـدد ٧٧، نيسـان ٢٠١٠، المركـز العربـي للمعلومـات.

(٣) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، ص. ١١.

(٤) مـن ذلـك: تَغَزُّلُـهُ بِنُعومَـةِ بَشَـرَتِهِ، ص.٣٢٧، **مـن نسـوان من لبنـان** (الطبعـة الجديدة ـ دار الجديـد.)

(٥) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، ص. ١١.

«نَهَـدَ نَهْدَاهـا ذاتَ يَـوْمٍ فصـارَتِ امـرأةً كامِلَـةَ الأوْصـافِ بَيْـنَ لَيْلَـةٍ وضُحاهـا»، وخِلالَهـا أيْضًـا، علـى ذِمَّتِهِ دَوْمًـا، حاوَلَ قَـتْلَ نَفْسِـهِ مَرَّتَيْـنِ: مَرَّةً لمَّـا حِيـلَ بَيْنَـهُ وبَيْـنَ مُغـادَرَةِ الدَّيْـرِ لِزِيـارَةِ أهْلِـهِ ولِقـاءِ سَـلْوى تِلْـك، ومَـرَّةً ثانِيَـةً، ذاتَ مُلابَسـاتٍ أكثـرَ غموضًـا، يُسْتَـدَلُّ مِـنْ رِوايَتِـهِ لَهَـا أنَّ وَراءَهـا مَزيجًـا مِـنْ حَسْـرَةٍ علـى غَرامِـهِ بِـسَلْوى التـي صَرَمَتْـهُ، ومِـنْ نَوْبَـةِ تَدَيُّـنٍ اسْـتَوْلَتْ عَلَيْـهِ مِـنْ جَرَّاءِ ذلـكَ الصَّـرْمِ وَزَيَّـنَتْ لَـهُ الالْتِحـاقَ بِـسِلْكِ الكَهَنـوت.

كانَ ذلِـكَ، وَمِـنْ حُسْـنِ حَظِّنـا أنْ كانَ، فَـتَحْتَ تِلْـكَ الظُّـروفِ والمُلابسـاتِ ضَـلَّ الرِّياشـيُّ عَـنْ طَريـقِ الدَّعْـوَةِ، أو ضَلَّـتْ هِـيَ عَنْـهُ، ووُلِدَ رِياشِـيُّنا![٦]

لَـمْ يَـدَعْ إسْكَـنْدَرُ الرِّياشـيُّ نَوْبَـةَ تَدَيُّـنِهِ وَتَـقْواهُ تَذْهَـبُ سُـدًى؛ فَـلَقَدِ اسْـتَسْـنَحَها لِيَنْـكَبَّ علـى المُطالَعَـةِ فـي تاريـخِ المِلَـلِ والنِّحَـلِ والفِـرَقِ التـي تَعُـجُّ بِهـا هـذِهِ البِـلادُ، واسْتَوْقَـفَـتْهُ مِنْهـا، علـى حَـدِّ قَـوْلِهِ، النُّصَيْرِيَّـةُ لأفْرودِيَّتِهـا والإيزدِيَّـةُ

مـن متحـف الطباعـة، ديـر مـار يوحنّـا الصابـغ، كتـاب ميـزان الزمـان

(٦) **نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**، الفصـل الثالـث، وعُنْـوانُ هـذا الفَصْـلِ: «عاشِـقٌ أمْ كاهِـن؟».

لِشَيْطانِيَّـتِها... وَلَـمْ يَفُـتْهُ مـا يَعْمَـلُ بِـهِ «المَتاوِلَـةُ»، (مَتاوِلَـةُ جَبَـلِ عامِـلَ علـى حَـدِّ قَوْلِـه)، مِـنَ «الـزَّواجِ المُنْقَـطِعِ»، (زَواجِ المُتْـعَةِ)، فَحَمِـدَهُ وأشـادَ بِـهِ وغَبِـطَ بِـحَسْرَةٍ ذاكَ الزَّعيـمَ الـذي كان يُزَيِّـنُ فِراشَـهُ كُلَّ لَيْلَـةٍ بـ«زَوْجَـةٍ» جَديـدة![٧]

وَكَمـا أفـادَتِ الرِياشـيَّ هـذِهِ المُطالَعـاتُ مَعـارِفَ عامَّـةً تَـتْرُكُ بَصَمـاتٍ ظاهِـرَةً علـى كُلِّ مـا كَتَبَـهُ، بمـا فيـهِ الأعْبَـثُ والأخَفُّ، فَـلَقَدْ كانَ لَهَـا الفَضْـلُ فـي صَرْفِـهِ صَرْفًـا لا رَجْعَةَ عَنْـهُ عمَّـا اسْـتَوْلى عَلَيْـهِ مِـنْ دَعْـوَةٍ دينيَّـةٍ إلـى بـابٍ آخَـرَ مِـنَ المُطالَعَـةِ ـ مُطالَعَـةِ «الرِّوايـاتِ الأجْنَبِيَّـةِ»... ولكِـنْ لَيْـسَ هـذا فَحَسْـبُ... فَـ«لَقَـد ألْهَبَـتْ مُطالَعَـةُ هـذِهِ الرِّوايـاتِ شَـهْوانِيَّتي السِّـنْخِيَّةَ، وأثْـرَتْ بمـا لا يُقـاسُ خَيالِـيَ الجَمـوحَ المُتَفَـلِّت».[٨]

علـى السَّـابِعَةَ عَشْـرَةَ مِـنَ العُمْـرِ، أيْ حوالَـي ١٩٠٧، إذْ كانَـتْ قُـرَّةُ العَيْـنِ مِـنَ الرِّياشـيِّ النِّسـاءَ والمُطالَعَـةَ، وإذْ كانَ مـا يَـزالُ يَعْتَـمِدُ فـي مَعاشِـهِ علـى نَفَـقَةِ والِدَتِـهِ مُسْـتَأْثِرًا

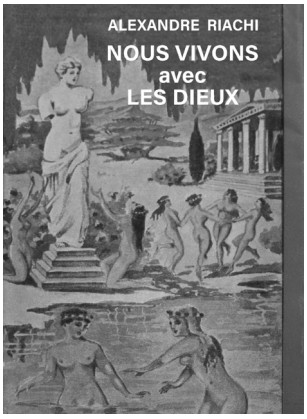

إسـكندر ريـاشي، **نعيـش مـع الآلهـة**، دار جوليـا فيلكـس، عـام ١٩٥٤

(٧) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، ص. ٢٥.

(٨) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، ص. ٢٧.

بِمـا يُفْـتَرَضُ أنْ يَـؤولَ إلـى إخْوَتِـهِ الصِّغـارِ، ارْتَـأَتِ العائِلَـةُ أنَّ الأوانَ قَـدْ آنَ لِيَقـومَ بِـأَوَدِ نَفْسِـهِ فألْحَقَـتْهُ بِأخوالِـهِ آلِ زلـزل المُهاجِريـنَ إلـى مِصْـرَ والنَّاشِـطينَ هُنـاكَ فـي قِطـاعِ المُقـاوَلاتِ وسِـواه.[٩] أمْضـى الرِّياشـيُّ فـي القَاهِـرَةِ أرْبَعَـةَ عَشَـرَ شَـهْرًا ثُـمَّ لَـمْ يَلْبَـثْ أنِ اسْتَـبَدَّ بِـهِ الحَنيـنُ إلـى الوَطَـنِ فعـادَ عَـوْدَهُ، ومـا هـيَ أنْ أَلْقـى عصـاهُ حتَّـى اقْـتُرِحَ عَلَيْـهِ أنْ يَعْمَـلَ لِحسـابِ مُقـاوِلٍ الْتَـزَمَ بِنـاءَ تَحْصيناتٍ لِحسـابِ السُّـلُطاتِ التُّرْكِيَّةِ في حَورانَ فاسْـتَجابَ للاقْـتِراحِ، ولكنَّ قِصَّـةَ حُـبٍّ انْتَـسَجَتْ بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ فتـاةٍ هُنـاكَ سَـرْعانَ مـا انْقَلَـبَت وَبَـالًا عَلَيْـهِ وعلـى رَبِّ عَمَلِـهِ، وأدَّتْ بالمُقـاوِلِ المَذْكـورِ وَرَهْطِـهِ إلـى مُغـادَرَةِ حَـورانَ هَرَبًـا مـن سُـوءِ العاقِـبَةِ تَحْـتَ جُـنْحِ الظَّـلام.[١٠]

مُجَـدَّدًا عـادَ الرِّياشـيُّ إلـى لُبنـانَ ـ ولكِـنْ هـذِهِ المَـرَّةَ إلـى زَحْلـة التـي كانَـتْ والِدَتُـهُ قَـدِ انْتَقَـلَتْ إلَيْهـا مِـنَ الخِنْـشارَة... وإذا افْتَرَضْنـا أنَّ مُغامَرَتَيْـهِ المِصْرِيَّـةَ والحَورانيَّـةَ قـد دامَتـا نَحْـوَ عامَيْـنِ، فهـا نَحْـنُ، إذًا،

(٩) **نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَة**، ص. ٤٢. التَّفْصيلُ ذو الصِّلَةِ بالأخْوالِ آلِ زَلْزَل، روايَةً عَنِ الأُسْتاذِ ملحم رِياشي.

(١٠) **نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**، الفَصْـل التَّاسـع. مراجعـة السَّـالِفَةِ فـي هـذا الكِتـابِ فـي الفَصْـلِ المُعَنْـوَنِ «آخِـرُ أميـراتِ بنـي غسّـان»، ص. ٥٤ أدنـاه.

على نِهايَةِ العَقْدِ الأوَّلِ مِنَ القَرْنِ العِشْرين.

لم يَطُلِ المُقامُ بالرِّياشي في زَحْلة... وإذْ لَمْ تَخْتَلِفِ الأسْبابُ التي حَدَتْ بِهِ إلى الفِرارِ مِنْها عَنِ الأسْبابِ التي أخْرَجَتْهُ، هوَ وصَحْبَهُ مِنْ حَوْرانَ، فهوَ يَنْسِبُ إلى فِرارِهِ مِنْ أحَدِ مَنازِلِ زَحْلَة، رَبِّي كما خَلَقْتَني، اعْتِناقَهُ التَّيَهانَ سَبيلًا في الحَياةِ، وإلى اتِّخاذِهِ كُنْيَةَ «التَّائِه»...[11]

وَنِعْمَ التِّيهُ... فَـ«قَبْلَ فِراري مِنْ زَحْلة كُنْتُ جاهِلًا بِتاريخِ هذا الجَبَل[12] وَبِما يَحُفُّ بِهذا التَّاريخِ مِنْ أساطيرَ وَمَرْوِيَّاتٍ» و«في تِيهي لَمْ أكْتَفِ بِمُطارَدَةِ النِّساءِ فَحَسْبُ بَلِ انْصَرَفْتُ أيْضًا إلى تَقَصِّي تاريخِ كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ القُرى التي لُذْتُ بِها»... بل أكْثَرُ... ففي رِحْلَةِ الفِرارِ هذِهِ سارَتْ بالرِّياشِيِّ قَدَماهُ، في ما سارَتْ، إلى بعبدا...[13] وفي بعبدا، دَرَسَ الحُقوقَ![14] وفي بعبدا بَدَأَ اهْتِمامُهُ بالسِّياسَةِ، وفي بعبدا ارْتَجَلَ نَفْسَهُ صِحافِيًّا «على غَيْرِ تَمَرُّسٍ بِفَنِّ الكِتابَةِ أو بِفَنِّ

(١١) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، الفصل الحادي عشر. يَرْوي الرِّياشي قِصَّةَ فِرارِهِ هذِهِ في الفَصْلِ المُعَنْوَنِ «الحَمَّامات السّحريّة»، ص. ٦٤ أدناه.

(١٢) المَقْصودُ بِطَبيعَةِ الحالِ جَبَلُ لُبنان.

(١٣) كانَ ابْتِناءُ سراي بعبدا، واتِّخاذُها مَقَرًّا شَتَوِيًّا لِدَوائِرِ المُتَصَرِّفِيَّةِ في عَهْدِ المُتَصَرِّفِ واصَه باشا (١٨٨٢ ـ ١٨٩٢)؛ **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**.

(١٤) وَيَزْعُمُ في ما يَزْعُمُ أنَّه تَرافَعَ لِمَرَّةٍ واحِدَةٍ في حياتِهِ دِفاعًا عَنْ بِنْتِ هَوًى... **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، ص. ٧٤.

الكَـذِبِ»،[١٥] وفيهـا، علـى ذِمَّـتِهِ، كانَ أوَّلُ إصْـدارٍ لِـمَطْبوعَةٍ بِعُنْـوانِ **الصِّحافـي التَّائِـه**.[١٦] دامَـتْ هـذِهِ المُغامَـرَةُ الصِّحافِـيَّةُ ثمانِيَـةَ عَشَـرَ شَـهْرًا انْـتَهَتْ ذاتَ يَـوْمٍ بـأنْ نَفَـضَ الرِّياشِـيُّ يَـدَهُ مِنْهـا، وتَبِـعَ هَـوى نَفْـسِهِ، ورَكِـبَ البَحْـرَ مُيَمِّمًـا شَـطْرَ فَرَنْسـا...[١٧]

بِنـاءً عَلَيْـهِ، يَكـونُ ذلـكَ، إنْ صَـحَّ تَقْـديرُنا، حَوالَـي ١٩١٢.

وَمِـنْ فَرَنْسـا، علـى مَتْـنِ عِشْـقٍ جَديـدٍ، قَطَـعَ الرِّياشِـيُّ الأطلَـسيَّ إلى الوِلايـاتِ المُتَّحِـدَةِ الأميركيَّـة.[١٨] لَـمْ يُكْـتَبْ لِهـذا العِشْـقِ عُمْـرٌ مَديـدٌ ولا دامَـتْ إقامَـتُهُ النّـيويوركيَّةُ طَويـلًا ولكـنْ، علـى الرَّغْـمِ مِـنْ قِصَـرِ هـذِهِ الإقامَـةِ، فَـلَقَدِ اتَّسَـعَتْ لِكَـي يَبْـنِيَ الرِّياشِـيُّ لِـنَفْـسِهِ، علـى مـا يَـرْوي، مَكانَـةً مـا بَيْـنَ لُبنانِـيِّي نيويـورك... بَـلْ... لِكَـيْ يُباشِـرَ هُنـاكَ، إصْـدارَ مَطْبوعَـةٍ باسْـمِ **ذي نيـو كونـتري!**[١٩]

وكمـا قَطَـعَ الأطْلَـسِيَّ ذَهابًـا علـى مَتْـنِ عِشْـقٍ جَديـدٍ، فَـلَقَدْ قَطَعَـهُ إيابًـا، إلـى فَرَنْسـا، تَلْبِـيَةً لاشْـتِراطاتِ

إسـكندر ريـاشي، **بنـاتٌ بـلا رجـال، مذكـرات تلميـذة**، لا أثـر لـدار نـشرٍ ولا لتاريـخ صـدور

(١٥) **نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**، الفَصْـل الثانـي عشـر والفصـل الثالـث عشـر.

(١٦) **نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**، الفصـل الثالـث عشـر.

(١٧) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، الفَصْل الثالث عشر.

(١٨) مراجعـة الفَصْـلِ المُعَنْـوَن: «كُـنْتُ حَفيـدَ الكاردينـال دو ريشـليه»، ص. ٦٩.

(١٩) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، الفصل الرابع عشر ص. ٩٢.

عَلاقَـةٍ ألْجَـأَهُ إليهـا ضيـقُ ذاتِ اليَـدِ ـ كانَـتْ قَـدِ انْتَـسَجَتْ بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ سَـيِّدَةٍ يَصِفُهـا بـ«الشَّـمْطاءِ اللُّبنانيَّـة».[٢٠]

لا غَـرْوَ إذًا أنِ اسْتَسْـنَحَ الرِّياشـيُّ أوَّلَ فُرْصَـةٍ سَـنَحَتْ لِيَتَـمَلَّصَ مِـنْ أسْـرِ شَـمْطائِهِ اللُّبنانيَّـةِ تِلْـك، ولِـيَفِرَّ مُجَـدَّدًا عائِـدًا إلـى لبنـان... وكأنَّمـا المصادفـات أعادَتْـهُ إلـى لُبنـانَ فـي الوَقْـتِ المُناسِـبِ لِتَكْتَـمِلَ حَبْكَـةُ سـيرَتِهِ المُدْهِـشَة: فـ«لَـمْ يَمْـضِ يَوْمـانِ علـى وُصُولـي إلـى بَيْـروتَ حتَّـى انْدَلَعَـتِ الحَـرْبُ العالميَّـة الأُولـى»![٢١] و[٢٢]

فـي بَيْـروتَ التـي لا تَفـوتُ الرِّياشـيَّ الإشـارَةَ إلـى أنَّ والِدَتَـهُ كانَـتْ قَـدِ انْتَقَـلَتْ للسَّـكَنِ فيهـا، اسْتَأْنَـفَ مُغامَراتِـهِ العاطِـفِيَّةَ، وإذْ فَتَحَـتْ لَـهُ هـذه المُغامـراتُ أبْـوابَ المُجْتَمَـعِ المُخْـمَـلِيِّ فَـلَقَدْ قرَّبَـتْهُ أكْثَـرَ فأكْثَرَ مِـنَ «السِّياسَـةِ» وصُـنَّاعِها، وهـو مـا حَـدا بِـهِ، «حادِسًـا بـأنَّ السَّلْطَـنَةَ العُثْـمانِيَّةَ علـى وَشْـكِ السُّـقوطِ، إلـى مُعاوَنَـةِ أُولئـكَ السَّـاعينَ إلـى تَعْجيـلِ هـذا السُّـقوطِ»، مُضيفًـا بـلا

---

(٢٠) **نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**، الفصـل الرابـع عشـر ص. ٩٣.

(٢١) **نَعيـشُ مَـعَ الآلِهَـة**، الفصـل الخامـس عشـر. للتَّـذْكير: كانَ انْـدِلاعُ هـذِهِ الحَـرْبِ فـي تَـمُّوزَ ١٩١٤.

(٢٢) فـي سـيرَةِ الرِّياشـيِّ أيْضًـا، علـى ذِمَّـتِهِ، أنَّـهُ عَمِـلَ فـي هـذِهِ الفَـتْرَةِ مِـنْ حَياتِـهِ مُراسِـلًا لِصَحيفَـةِ «**الطـان**» الفَرَنْسِـيَّةِ التـي كانَـتْ، فـي حينِـهِ، كُـبْرى الصُّحُـفِ الصَّـادِرَةِ فـي باريـسَ بـلا مُنـازِع. حتَّـى إشْـعارٍ آخَـرَ، تَـبْقى هـذِهِ المَعْلومَـةُ بِـرَسْمِ التَّحْقيـق... أنَّـى يَكُـن، وبِـصَرْفِ النَّظَـرِ عَـنْ صِحَّتِها، فالظَّاهِـرُ أنَّ دَعْـوى الوَصْـلِ بِـلَيْلى، وَمُراسَـلَةَ «**الطَّـان**»، أو النَّـشْرَ فيهـا، كانَ أيَّامـذاكَ «عَالمُوضَـة»، وَمِـنْ مَخايل السَّـبْقِ والتَّفَـوُّق. فَعُـمَر، بَطَـلُ الرِّوايَةِ التَّاريخيَّـةِ **٦ أيَّـار ـ قِصَّـة شُـهَدَاءِ الوَطَـن** التـي كَتَـبَها سـميح الزِّيـن ـ (و«سـاهَم» فـي قَـصِّ وقائِعِها التَّاريخيَّـةِ وجيـه علـم الديـن «الضَّابـط فـي الجَيْـشِ العَرَبِـيِّ خِـلالَ الحَـرْبِ العالميَّـةِ الأولـى»، ١٩٦٦) ـ عُـمَـرُ ذاكَ، مثـلًا، يَكْتُـبُ في **الطَّـان** «مَقـالاتٍ حَـوْلَ القَضِيَّـةِ العَرَبِيَّـة».

تَـرَدُّدٍ أنَّ دافِعَـهُ مِـنْ وَراءِ ذَلِـكَ كانَ حُـبَّ المُغامَـرَةِ والكَسْـبَ المـادِّيَّ لا الشُّـعورَ الوَطَنِـيَّ ولا مَـنْ يَحْزَنون...[٢٣]

كان اتِّصـالُ الرِّياشـي بِهـؤلاءِ، علـى مـا يَـروِي، عـام ١٩١٧، وكانَ هَـؤلاءِ السَّـاعونَ إلـى تَعْجيـلِ سُـقوطِ السَّلْطَـنَةِ الذيـن ارْتضـى الرِّياشـيُّ العَمَـلَ لِحِسـابِهِم «جَماعَـةَ أرْواد»... وأرْوادُ، يـا سـادَةُ يـا كِـرام، كمـا لا يُحِـبُّ اللُّبنانيُّـون أنْ يَذْكُـروا وأنْ يُذَكِّـروا، «قِصَّـةٌ كَبـيرة»، علـى مـا تَقـولُ العامِّـيَّة اللبنانيَّةُ، فـي تاريـخِ لُبنـان...

ففـي الأوَّلِ مِـنْ أيْلـولَ ١٩١٥، تَحْـتَ ذَريعَـةِ فَـكِّ الحِصـارِ المَضْـروبِ علـى جَبَـلِ لُبنـان، سَـيْطَرَتْ قُـوَّاتٌ فَرنْسِـيَّةٌ علـى جَزِيـرَةِ أرْوادَ وحَوَّلَتْها، بِلُغَـةِ اليَـوْمِ، إلـى غُرْفَـةِ عَمَلِـيَّاتٍ مُتَقَـدِّمَةٍ يُـدارُ مِنْهـا المَجْهـودُ الإغاثِـيُّ والعَمَـلُ الاسْـتِخباريُّ الأمْنِـيُّ سـواءً بِسـواء...[٢٤]

لَيْـسَ مِـنْ شَـأْنِ هـذِهِ العُجالَـةِ أنْ تُحْصِـيَ كُلَّ المَهـامِّ التـي عَهِـدَتْ بِهـا أرْوادُ، والتـي عَهِـدَ بِهـا الانْتِـدابُ

الـمفوّض السَّـامي الكونـت هـنري دو جوفنـل الـذي أذاع الدسـتور وأعلـن قيـام الجمهوريـة اللبنانيّـة (٢٤ أيّـار ١٩٢٦). مـن كتـاب رؤسـاء لبنـان، إسـكندر ريـاشي

(٢٣) **نَعيشُ مَعَ الآلِهَة**، الفصل التاسع عشر.

(٢٤) ومِـنْ نافِـلِ القَـولِ أنَّ حَـقَّ أرْوادَ «اللُّبنانِيَّـةِ» هـذِهِ أنْ يُـؤَرَّخَ لَهـا بالتَّفاصيـلِ المُمِلَّـةِ... بَـلْ نَتَمَـادَى، علـى هَـدْيٍ مِمّـا أُتيـحَ لَنـا مُطالَعَتُـهُ هُنـا وهنـاكَ، فَـنَقول: لا يَكْتَمِـلُ تَاريـخٌ لِلُبْنـانَ لا يَلْحَـظُ أيـادي أرْوادَ و«جماعَـةِ أرْواد» عَلَيْـهِ قَبْـلَ إنْشـائِهِ دَوْلَـةً فـي ١٩٢٠ وَبَعْدَهـا.

مجلة الفصول اللبنانية، خريف ١٩٧٩، رئيس جمهورية لبنان شارل دباس بمناسبة تكريم أحمد شوقي، عام ١٩٣١. جلوسا من اليسار: وديع عقل، أحمد شوقي، شارل دباس، موسى نمور، جبران تويني، خليل كسيب. وقوفا من اليسار: بطرس البستاني، بشارة الخوري الأخطل الصغير، نجيب ليان، يوسف مكرزل، أسعد عقل غبريال خبّاز، ميشال زكّور، إسكندر رياشي، خير الدين الأحدب، كميل يوسف شمعون، إسكندر البستاني، محمد الضاهر

الفَرَنْسِيُّ، بَعْدَ الحَرْبِ، إلى الرِّياشِيِّ، والتي يُطالِعُنا بِكَثيرٍ مِنْ تَفاصِيلِها في كُتُبِهِ ومنها **نِسْوان مِنْ لُبنان**، وإنَّما المُؤَدَّى مِنَ الإشارَةِ إلى هذِهِ المَهامِّ ما أتاحَتْهُ لَهُ مِنْ أسْفارٍ في أرْجاءِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ ـ أسْفارٍ لا مُبالَغَةَ في القَوْلِ إنَّها غَذَّتْ فُضولَهُ الشَّرِهَ أصْلًا، وَفَتَحَتْ عَيْنَيْهِ على مَسائِلَ وقَضايا ما يَزالُ مُعْظَمُها على جَدْوَلِ أعْمالِ اليَوْمِ وَهُمومِهِ وَسِجالاتِه ـ وَلَيْسَ أقَلَّ هذِهِ المَسائِلِ خَطرًا مَسْأَلَةُ نُشُوءِ، بَلِ ارْتِجالِ، الدُّوَلِ في هذِهِ المِنْطَقَةِ مِنَ العالَم ـ عِلاوَةً على أنَّها أسْفارٌ لا مُبالَغَةَ في القَوْلِ إنَّ رِوايَتَهُ لَها، وسَرْدَهُ لِمُشاهَداتِهِ خِلالَها، واسْتِطراداتِهِ الجَمَّةَ بِمُناسَبَةِ هذِهِ أو تِلْكَ مِنْها، جَديرٌ بأنْ يُعَدَّ في أدَبِ السَّفَرِ والرِّحْلَةِ، وجَديرٌ بأنْ يُضيفَ إلى أسْماءِ الرِّياشِيِّ الحُسْنى اسْمَ الرَّحَّالَةِ الفُضُولِيِّ، جَوَّابِ الآفاقِ المُقْبِلِ على اكْتِشافِ

العالَـمِ بِـنَهَمٍ لا يَصُـدُّهُ حَيـاء.
فـي سَـنَةِ ١٩٢٠ عُيِّـنَ الرِّياشـي مُعاوِنًا لِـمُسْتَـشارِ البِقـاعِ فـي المُفَوَّضِيَّـةِ الفَرَنْسِـيَّةِ، وفـي هـذهِ السَّـنَةِ أيْضًـا كَمَّـلَ الرِّياشِـيُّ نِصْـفَ دِينِـهِ وَدُنْـياه واقْـتَرَنَ بـماري قهوجـي التـي رُزِقَ مِنْهـا بِسَـبْعَةِ أوْلاد،[٢٥] ووَسْـطَ هَـذِهِ الزَّحْمَـةِ مِـنَ المُسْتَـجَدَّاتِ فـي حياتَـيْهِ الخاصَّـةِ والعامَّـةِ، استَأنَـف، فـي ١٩٢٢، إصْـدارَ **الصِّحافـيِّ التَّائِـه.**[٢٦]

[انظـر/ انظـري الهامـش ٢٦ صـص. ٢٨ ـ ٢٩]

(٢٥) يَـرْوِي يُوسـف إبراهيـم يزبـك فـي **«حِكايَـةِ نـوَّار»** قِصَّـةَ زَواجِ الرِّياشـي فَـيَقول: «فـي سَـنَةِ ١٩٢٠ كانَ إسكَـندَرُ رياشِـيّ مـارًّا بِـعَرَبَةِ خَيْـلٍ فـي سُـوقِ زحلـة، واتَّـفَـقَ أنْ نَظَرَ إلـى عَـلٍ فَشـاهَدَ علـى شُـرْفَةِ أحَـدِ المَنـازِلِ فَـتَاةً يُسَـبِّحُ اللَّـهُ جَمالَهـا، فَـسَألَ الحُـوذِيَّ:
- مَن سَكَنَ هذا البَيْت؟
- هُنا بَيْت القَهْوَجي.
- وهـذهِ الفَـتاة الفَـتَّانَة «إللِّـي قَـدّ اللَّـه؟»، (قالهـا باللُّغَـةِ الزَّحْلِيَّـة).
- هـذِهِ ابْنَتُـهُم، مدموزيـل مـاري... هِـيَ مَـلاكٌ طاهِـرٌ مَـعَ جَمـالٍ وتَهْذيـب.
وسَـكَتَ الحُـوذِيُّ قَـليلًا وقـالَ: مْدَوَّخَـة شَـباب زحلـة!
- شو؟ وأنا ما عِندي خَبَر؟ ارجع... ارجع!
ورَجَـعَ الحُـوذِيُّ، وصَعِـدَ صاحِبُنـا إلـى الطَّابِـقِ الأوَّلِ وقـالَ لِسُـكَّانِه: «داعيكُم إسْكَـنْدَر رياشـي، سـكرتير المُسْتَـشار. مـا مِعـي قـرش... نـوري أنْدَبـوري ولكنِّي كَريم وطَـيِّب القَلْب. أعْجَبَـتْني ابْنَتُكُـم الحُلْـوَة فهـل تُعطونَنـي إيَّاهـا؟»
... وتَـمَّ النَّصيـبُ بَعْـدَ قِصَـصٍ طَريفَـةٍ طالَـت أسْـبوعًا.
وهكـذا تَوالَـت أيَّـامُ إسْكَـنْدَر رياشـي طَـوالَ حَياتِـه علـى مِثـالِ زواجِـهِ، فَهَـلْ عَرَفْـتَ تيهَـه؟».
يوسـف إبراهيـم يزبـك، **حكايـة أوَّل نَـوّار فـي العالَـم وفـي لبنـان ـ ذِكْرَيـات وتاريـخ ونُصـوص**، دار الفارابـي، بيـروت، نيسـان ١٩٧٤، ص. ٥٠ ومـا يليهـا.
أمـا أبْنـاءُ الرِّياشـي مِـنْ مـاري قهوجـي فهُـم: جـان ومـارك وجوزيـف وكوليـت وتيـودور وناتاشـا وروميـو.

حفـل زفـاف فهـد بـلّان وناتاشـا إسـكندر ريـاشي، بيـت مـري ٢٣ آب ١٩٦٦، مـن مجموعـة محمّـد الجبّـوري ـ مجلّـة الشـبكة ١٩٦٦

هاتف الاعلان

LE JOURNALISTE ERRANT

الصحافي التائه

البردوني

جريدة البؤساء والبلهاء

هاتف اعلانات

مخازن مارمن الكبرى

بيروت — شارع — حلبة — رأس

جميع انواع البضائع الجافة والمأكولات والمشروبات

تجارة وشركاه

المخزن الكبرى لملابس الرجالية والحريمية

في بيروت حيث الاسعار لا تقاوم بضاعتها

اسعار وحسن المعاملة بالمثل مضمونة

اعلان شركة فوكار وسون

ثمن هذا الاعلان

زحلة الجميلة ٢٨ ايلول ١٩٢٢ — العدد ١

أيان ام فانون ايمان

مقدمة الجريدة

هذه الجريدة تكون غريبة عن كل مبادئ وعلوية لكل مستغرب، ومفرقة لكل مستهتر لا تقيد ولا تقاد. تترك الشتم بالاحترام لغيرها. تريد ان يكون لها مقاما بين شمس الله وقلوب البشر مثل اخواتها

مباحثها السياسة والاخلاق وفلسفة الحياة والضحك والتفكه بالمكاوحة والرواية والشعر والادب على انه يكون لكل مقال مقداره مخصص به

لا تجاري غيرها ان كان في الحسن والقبح وهي علامات فارقة لكل قوم وقرن

تعترف لكل من الجمعيات الدينية العقل الصريح وتحارب لاجله وتحترم الفقير والغني اكثر من الغني والسعيد

سياستها مع الاحزاب الصريح النبيه تعترف بضرورة الحزبية على البلاد

تعلم ان حياة البلاد بحريتها وان في القارئين اسماً اصغر من البائعين والمشترين هم اهل كل ولاء ووداد وعذر هذا الوطن ودعامة مستقبله وغبطة ذريته

الجمهور حرية الوطن ثمنه ورقه. وغلاء بقاع صفحه ثمن لبنان وقلمه والوطن سورية

هذه الجريدة عدوة للسؤال واله لا يكرم تعلم ان له الحقوق الواسعة فتساعده بالمحافظة عليها. اكثار هذا الاقتراح يبدأ مدة اجوال فيجب ان يبقى كما كان. يجب ان يناله نصيبه من قرص الحلوى

تعترف بحسنات جمة للعهد البائد ولم كانت ميئاته اكثر منها

هذه الجريدة الحرة تحارب التعليم الدينية بدادي، تحارب الاشتراكية: لان لن تكون صديقة العامل والزارع والضعيف وتدافع عن مصالح هؤلاء بكل قواها وتعارض ان المبادئ الاشتراكية المتطرفة قد جاء بالخير الكثير لبيسي وعد

لا تقوم في البلاد عناد ولا في حقيقة الحق والخير وحدة البلاد. تكون جوقة بسالة عراقة. تعلم ان لبنان جبل عالي الذرى يكلله الثلج الناصع البياض ولا تكونه ارجل الاقزام

وتعلم ان سوريا قطر شقيق مشارك الصالح مادياً وحاضراً ولاحقاً ترتبط بلبنان علاقات الصداقة الاخية شاجرة بقوتها

هذه الجريدة تحارب الشركات الاحتكارية وتعلم انها الموت الزؤام للفقير والعامل. وتعلم انها اليوم تستثمر عمالها استثمار الرقيق

تصالي البلاد بحرها وصحوها وبؤسائها وعن قليه شيء. ولا تسأل عن الاخبار

لا تعرف صديقاً وفياً غير الرأس والجور

لا تعرف سيداً إلا من اكتحلت عيناه ورقن لثغاه

تعلم ان الصحافة من اسباب الراقي والحياة للبلاد التي لا تجاري لذلك تؤكد على كل وطني مساعدتها واعوانها

لا ترى في الموظف معها اخلت ترجمه إلا خادم البلاد الذي يقاضى من الشعب معاشه فلها عليه كل حق (اجر في الصفحة ٤)

سيجران فابر وشركاه

الوكيل الحصري في بيروت جداك وحال

شركة الكاوتشوك الكبرى لسيارة الشرق الشرقي

ادرجا اطرافها لتعلم المعاملات الاتية من هذه الشركة في الصالحة الثابتة

الخواجا حبوب الديس

الوكيل الرسمي لشركة ورس الكبرى، الاطارات المطاطية في الاعداد الغابرة

صوت استغاثة

عاجز من الحمى كل يوم في الساعة الثانية بعد الزوال وعند الغروب وعند نزوح بهاء الشمس كل الحمة وكم وكم حرية دبيق الاستعطاء والتسول في الشوارع توسلاً لتعيش وحدة من العائلة الثلاثة والباقي جوعى

الخال الشهير مارمرخا ناجي تجارة رهم بطوف الشوارع والبيوت في ايام متأخرة) بائعاً الاطعمة الجوالة الطيارة والمؤسسة

مخازن نجاتي وشاهوري

في بيروت — وزحلة

اكبر محلات للخياطة الرجالية في الشرق في هذه العام الخامس الثابتة فيها

العدد الأول من جريدة إسكندر رياشي، الصحافي التائه، عام ١٩٢٢

(٢٦) نَقولُ «اسْتَأْنَفَ إصْدارَ الصِّحافي التَّائه» على غَيْرِ يَقينٍ مِنْ صِحَّةِ ما نَذْهَبُ إلَيه حَيْثُ أَنَّ مُسْتَنَدَنا الوَحيدَ عَلَيْهِ هو زَعْمُ الرِّياشيِّ، في «نَعيشُ مَعَ الآلهة»، أنَّ أوَّلَ إصْدارٍ لـ «الصِّحافي التَّائه» كان في بعبدا، وهوَ مُسْتَنَدٌ ليس ما يُؤازِرُهُ. هَلْ زَعَمَ الرِّياشيُّ أنَّهُ أصْدَرَ «الصِّحافي التَّائه» في بعبدا مِنْ بابِ التَّأكيدِ على رسُوخِ قَدَمِهِ، مُنْذُ اليَفاعَةِ، في مِهْنَةِ الصِّحافَةِ مُؤْثِرًا «التَّضْحِيَةَ»، لأسْبابٍ روائِيَّةٍ، بالإشارَةِ إلى جَريدَةِ «البردوني» التي تَتَضافَرُ الشَّواهِدُ أنَّها المَطْبوعَةُ التي أصْدَرَها قَبْلَ رِحْلَتِهِ الأميركيَّة؟ الڤيكونت فيليب دو طرازي، في الجُزْءِ الرَّابِعِ، (صفحة ٣٨)، مِنْ تاريخ «الصِّحافة العربيَّة»، يُثْبِتُ أنَّ جَريدَةً باسْمِ «البردوني»، لِمُنْشِئَيْها سالِم وإسكَندَر رياشي «ظَهَرَتْ» في مَدينَةِ زحلة في ٢٥ حزيران ١٩١٠، ويُتابِعُهُ في ذلكَ يُوسف أسْعَد داغر (قاموس الصِّحافة اللبنانيَّة ١٨٥٨ ـ ١٩٧٤، المكتبة الشرقية، ١٩٧٨، صفحة ٨٢) الذي يُعَيِّنُ صُدورَها في ٢٣ حزيران ١٩١٠؛ هذا في حين أنَّ أيًّا مِنْهُما، دي طرازي وداغر، لا يَذْكُرُ أنَّ مَطْبوعَةً باسْمِ «الصِّحافي التَّائه» صَدَرَتْ قَبْلَ العِشْرينيَّات في بعبدا. وللْعِلْمِ بالشَّيْءِ، فالظَّاهِرُ أنَّ مَشروعَ إصْدارِ «البردوني» سابِقٌ، في نيَّةِ الرِّياشي، على صُدورِها بِسَنَواتٍ حيثُ إنَّهُ اسْتَحْصَلَ على امْتِيازِها «في العَهْدِ العُثمانيِّ سنة ١٩٠٦»؛ (مراجعة المَدْخَل الخاصّ بـ«الصِّحافي التَّائه» في «قاموس الصِّحافَة اللّبنانيَّة»، صفحة ١٧٧). وللْعِلْمِ بالشَّيْءِ أيْضًا، وعلى ذِمَّةِ وَزيرِ الإعْلامِ اللُّبناني السَّابق ملحم رياشي، فلا صِلَةَ قَرابَةٍ مُباشِرَةً بَيْنَ إسكَندَر وسالم حَيْثُ إنَّ الثَّاني يَتَنزَّلُ من الفَخْذِ الرِّياشيِّ الذي استوطن قاع الريم. بالعَوْدِ إلى ما تَقَدَّمَ، مِمّا يُسْتَدَلُّ بِهِ على تَعَمُّدِ الرِّياشيِّ الخَلْطَ بَيْنَ «البردوني» و«الصِّحافي التَّائه» في سَرْدِيَّة «نَعيشُ مَعَ الآلِهَة» أنَّ العَدَدَ الأوَّلَ مِنَ «الصِّحافي التَّائِه» الصَّادِرَ في زحلة في ٢٨ أيلول ١٩٢٢ مُصَدَّرٌ بِشِعارِ «الصِّحافي التَّائِه» وَتَحْتَهُ شِعارُ البردوني وأنَّ افْتِتاحيَّةَ هذا العَدَدِ تُشيرُ إلى أنَّها «كانَتْ تُدْعى بـ«البردوني»، وَشِعارُها ما جاءَ يَوْمَ ظُهورِها لأوَّلِ مَرَّةٍ قَبْلَ الحَرْب...». يَبْقى أنَّ هذا الخَلْطَ في الأسْماءِ لا شَيْءَ يُذْكَرُ بَيْنَ يَدَيْ صَمْتِ نَعيشُ مع الآلِهَة المُطْبِقِ في ما يَتَعَلَّقُ بـ «سِياسَةِ» الصِّحافي التَّائه/ البردوني عِنْدَ بِداياتِ صُدورِها. هَلْ تُفَسِّرُ هذا الصَّمْتَ رَغْبَةُ الرِّياشيِّ في أنْ يُعْفيَ نَفْسَهُ مِنْ مَشَقَّةِ الاسْتِفاضَةِ في بَيانِ ما ذَهَبَ إلَيْهِ على صَفَحاتِ الصِّحافي التَّائه/البردوني مِنْ تَرويجٍ لـ«الأفْكارِ الاشْتِراكيَّةِ»؟ ـ (على الْتِباسِ المَقْصودِ بِهذه «الأفْكار» وبِهَذِهِ «الاشْتِراكيَّةِ»)، مُقَدِّرًا أنَّ ارْتِفاعَ التَّناقُضِ بَيْنَ الدِّفاعِ عَنْ هذِهِ الأفْكارِ وَعَنْ مُوالاةِ الانْتِدابِ في آنٍ مَعًا يَسْتَعْصي على قُرّاءِ «نَعيشُ مع الآلِهَة؟»

مِنَ المُفيدِ، هُنا، لَرُبَّما، التَّمَلِّي مِنَ الإشارَةِ العابِرَةِ وإنَّما حَمَّالَةُ الأوْجُهِ التي تَرِدُ تَحْتَ قَلَمِ يوسف إبراهيم يزبك في مَعْرِضِ سَرْدِهِ قِصَّةَ إصْدارِ الرِّياشي «الصِّحافي التَّائه»، والتي يُسْتَفادُ مِنْها أنَّ إصْدارَ هذِهِ المَطْبوعَةِ كانَ بِوَحْيٍ مُوحى. يقول: «في الثَّامِنِ والعِشْرينَ مِنْ أيلولَ سَنَةَ ١٩٢٢ صَدَرَتْ في زحلة جَريدَةٌ باسْمِ الصِّحافي التَّائه لِمُنْشِئِها إسكَندَر رياشيّ. وكانَ قَدْ أصْدَرَ قَبْلَ المَجْزَرَةِ العالَمِيَّةِ الأُولى جَريدَةً باسْمِ البردوني غَيْرَ أنَّ

أعْصابَـهُ المُتَحَرِّكَـةَ دَوْمًـا دَعَـتْهُ إلـى التِّيـهِ فـي بِـلاد اللـه فأقْـفَلَ البردونـي ورَحَـلَ إلـى بوسـطن فـي الوِلايـاتِ المُتَّحِـدَة. فَلَمَّـا رَجَـعَ إلـى لُبنـانَ بَعْـدَ انْتِهـاءِ الحَـرْبِ المَشْـؤومَةِ وخَطَـرَ لَـهُ ـ أو قيـلَ لَـهُ ـ أنْ يُعيـدَ جَريدَتَـهُ سَـمَّاها «الصِّحافـي التَّائـه»، إشـارَةً إلـى تيهِـهِ السَّـابق. ولَيْـسَ مِـنْ نَعْـتٍ يَنْطَبِـقُ عَلَيْـهِ مِثْـلُ التَّائـه: فهـوَ تائِـهٌ فِكْرًا، وسُـلُوكًا، وتَعْبيـرًا زحليًّـا... ولكـنَّ فيـهِ ظَرْفًـا لا حَدَّ لَـهُ. يُجيـدُ اللَّـذْعَ والسُّـخْرِيَةَ بِـذَكاءٍ وَخِفَّـة روح. وفيـهِ طيـبٌ إنْ صَفـا. ولكـنَّ هـذا كُلَّـهُ يَنْقَـلِبُ إلـى عَكْسِـهِ فيمـا إذا عَـنَّ لَـهُ أن يَتِـيه!»، (حكاية أوَّل نَـوَّار).

علـى أنَّـهُ، وبِصَـرْفِ النَّظَـرِ عَمَّـا أهْمَـلَ الرِّياشـيُّ الإشـارَةَ إلَيْـهِ، ومـا ارْتَـأى أنْ يُسْـقِطَهُ مِـنْ سيرَتِهِ، فهـذا الإهْمـالُ أو هـذا الارْتِـئاءُ لا يَحـولانِ بَيْـنَ مُـؤَرِّخٍ للحَرَكَـةِ الشُّـيوعيَّةِ وبَيْـنَ أنْ يَكْتُـبَ إنَّ «جَريـدَةَ الصِّحافـي التَّائـه قـد أدَّتْ مُهِمَّـةً أساسـيَّةً كُبْـرى فـي نُشـوءِ الحَرَكَـةِ الشُّـيوعيَّةِ عِنْدَمـا اسْتَـقْطَـبَتِ الشَّـبابَ المُثَـقَّفَ وَدَفَعَتْـهُ لِلْعَمَـلِ فـي الاتِّجاهِ الشُّـيوعيِّ، وأعْطَـتْهُ الوسـيلَةَ التـي يُعَبِّـرُ بِهـا عَـنْ آرائِـهِ ويَتَوَجَّـهُ بِواسِـطَتِها إلـى الشَّـعْب...»، سـهيل أيـوب، الحـزب الشُّـيوعي فـي سـوريا ولبنـان (١٩٢٢ ـ ١٩٥٨)، دار الحريَّـة للطِّباعَـةِ والنَّشْـر، بيـروت ١٩٥٩، ص ٥٦.

وفـي أيِّ حـالٍ، وإذا كانَ مِمَّـا يُكْـتَبُ فـي صَحيفَةِ الرِّياشـيِّ أنَّ تَعْيينَ مَحَلِّـهِ مِـنَ «الصِّحافَـةِ الثَّـوْرِيَّة»، ويَـدِهِ علـى بِدايـاتِ «النِّضالِ الثَّـوْرِيِّ»، نَكَـدَ مُؤَرِّخيهمـا الرَّسْـمِيِّين أيـامَ عِـزِّ «الحَنْبَلِـيَّةِ» الشُّـيوعيَّةِ فَـتَراهُم لا يَأْتـونَ علـى ذِكْـرِهِ بالمَـرَّةِ، أو يَمُـرُّوا بِـهِ مَـرَّ السَّـحابِ، فـإنَّ شَـيْخًا مِنْ شُـيوخِ الشُّـيوعيَّةِ مِـنْ طَبَـقَةِ أرتيـن مادويـان لا يَمْلِـكُ فـي مُذَكِّراتِـهِ التـي كَتَبَهـا علـى نِهايـاتِ حَياتِـهِ إلّا أن يَفِـيَهُ حَقَّـهُ «المَوْضوعـيَّ» بِهَـذِهِ الكَلِمـات: «فـي ظِـلِّ هـذِهِ الظُّـروفِ السِّياسِـيَّةِ والفِكْريَّـةِ صَـدَرَ فـي زحلـة فـي ٢٨ أيلـول ١٩٢٢ العَـدَدُ الأوَّلُ مِـنْ جَريـدَةِ الصِّحافـيِّ التَّائـه. وكانَـتْ تَصْـدُرُ مَرَّتَـيْنِ فـي الأُسْـبوع وقَـدْ أعْلَـنَتْ عَـنْ نَفْسِـها بأنَّهـا «جَريـدَةُ العُمَّـالِ والبُـؤَساء». وكانَ صاحِبُهـا ومُديرُهـا المَسـؤولُ إسكَـندَرَ رياشـي، وقَـدْ حَـدَّدَ مَواقِـفَها السِّياسِـيَّةَ والاجْتِماعيَّـةَ فـي مَقـالٍ افْتِـتاحِيٍّ جـاء فيـه:

«هـذِهِ الجَريـدَةُ تَعْتَـرِفُ بالتَّآخـي بَيْـنَ الطَّبقـاتِ وأنَّـه لَحَـقٌّ طَبيعـيٌّ وصريـحٌ، وهـيَ تُكافِـحُ مِـنْ أجْـلِ ذلِـكَ، وَتَحْتَـرِمُ الفَقيـرَ التَّعِـسَ أكْثَـرَ مِـنَ الغَنِـيِّ والسَّـعيد، لذلِـكَ تَـكونُ صَديقَـةَ العامِـلِ والمُـزارِعِ والضَّعيـفِ وَتُدافِـعُ عَـنْ مَصالِـحِ هَـؤلاءِ بِـكُلِّ قُواهـا، وَتَعْـتَـرِفُ بـأنَّ المَبـادِئَ الاشْـتراكيَّةَ المُعْتَدِلَـةَ قَـدْ جـاءَ بِها الكِتابَانِ الكَريمانِ لِعيسـى وَمُحَمَّـد». وفـي الوَقْـتِ نَفْسِـهِ حَـدَّدَ سِياسَـةَ الجَريـدَةِ بأنَّها: «مَعَ الانْـتِدابِ الفَرَنْسِـيِّ وضَرورَةِ إشْـرافِهِ علـى البِـلاد. مِـنَ الواضِـحِ أنَّ إسْكَـندَرَ رياشـيَّ كانَ مُشَـوَّشَ الأفْـكارِ، وكانَ يَخْلِـطُ بَيْـنَ القَضايـا الاجْتِماعيَّـةِ والقَضايـا الطَّبَقِيَّـة، والمَبـادِئِ الاشْـتراكيَّة، وَيَجْهَـلُ مَبـادِئَ الاسْتِـقلالِ الوَطَنِـيِّ وَيَعْتَـرِفُ بِضَـرورَةِ الانْتِـدابِ الفَرَنْسِـيّ. بالرَّغْـمِ مِـنْ ذلِـكَ، لَعِبَـتْ جَريدَتُـهُ دَوْرًا إيجابيًّـا لأنَّهـا خَصَّصَـتْ صَفَحاتِهـا لِعَـدَدٍ مِـنَ الشُّـبَّانِ الذيـن أدَّتْ تَسـاؤلاتُهُم وَمُناقَشـاتُهُم والجَهْـدُ التَّحْليلـيُّ الـذي بَذَلَـهُ أحَدُهُـم إلـى وِلادَةِ الحَرَكَـةِ العُمَّاليَّـةِ الحَديثَـةِ فـي لُبنـان». وقَـدْ أكَّـدَ هـذا القَـوْلَ الباحِـثُ الفَرَنْسِـيُّ، جـاك كـولان، حيـاة علـى المتـراس، دار الفارابـي، الطَّبعـة الثانيـة، بيـروت ٢٠١١، صفحـة ٧٤.

على غِـرَّةِ الثَّلاثيـنيَّاتِ مِـنَ العُمْـرِ، إذًا، وفيما «لُبنـانُ الدَّوْلَـةُ» على مَقاعِـدِ الانْتِـدابِ الابْتِـدائِيَّةِ، كان الرِّياشـيُّ، مُـزَوَّدًا بِما حَصَّلَـهُ مِـنْ مَعـارِفَ ومِـنْ تَجـارِبَ، يَنْطَلِـقُ فـي فَضـاءِ الصِّحافَـةِ والسِّياسَـةِ، والكِتابَـةِ علـى أنْواعِهـا، بِمـا فـي ذَلِـكَ التَّرْجَمَـةُ إلـى العَرَبِيَّـةِ، مُحَلِّقًـا بِأجْنِحَـةٍ كَثيـرَةٍ لَيْـسَ أقَلَّهـا خَفَـقانًا جَنـاحُ الاسْـتِخفافِ بالأقْـداسِ، والاسْـتِهْزاءِ بِهـا، وفـي الطَّليعَـةِ مِـنْ هَـذهِ الأقْـداسِ التـي دَنَّسَـها الرِّياشـيُّ بِـمَرَحٍ وغَطْرَسَـةٍ لا يَـكادُ أنْ يَكـونَ لَهُمـا فـي العَرَبِيَّـةِ نَظيـرٌ، سُمْعَـتُهُ بَيْـنَ قُـرَّائِهِ ـ فَتَـلْفاهُ لا يَجِـدُ حَرَجًـا فـي أنْ يَسْـرُدَ علـى هَـؤلاءِ القُـرَّاءِ/القارِئاتِ، فـي مَعْـرِضِ الحَديـثِ عَـنْ لُبنـانَ واللُّبنانيِّيـن واللبنانيَّـاتِ، مـا لا مَزيـدَ عَلَيْـهِ مِـنْ أخْبـارٍ ومِـنْ أحاديـثَ يُفْـتَرَضُ أنْ تَلوكَها الألْسُـنُ نَميمَـةً عَلَيْـهِ ووِشـايَةً بِـهِ لا أنْ يُنْسَـبَ إلَيْـهِ هُـوَ فَضْـلُ سَـرْدِها بالتَّـفْصيلِ غَيْـرِ المُمِـلّ!

هكَـذا، إذًا، وُلِـدَ الرِّياشـيُّ وِلادَتَـهُ الثَّانِـيَةَ للُبنـانَ، وشَـتَّانَ مـا بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ لُبنـانَ الـذي وُلِـدَ فيـهِ وِلادَتَـهُ الأُولـى. وإذْ تَـبْقى سِـيرةُ الرِّياشِيَّـيْنِ، إسْـكَنْدَرَ ابْـنِ الخنشـارة، وإسْـكَنْدَرَ شَـقيقِ لُبنـانَ البِكْـرِ بِرَسْـمِ أنْ تُكْـتَبَ، فـلا إفْـراطَ فـي القَـوْلِ، بِنـاءً علـى القَليـلِ المُتَوَفِّـرِ بَيْـنَ أيدِينـا، أنَّ نَجـاحَ الثَّانـي فـي أنْ يَخْـتَطَّ لِـنَفْـسِهِ خِطَـطَ نَجـاحٍ فـي مَسـالِكِ لُبنـانَ الدَّوْلَـةَ، حَـدَّ أنْ يَتَـبَوَّأَ مَنْصِـبَ نَقيـبِ الصِّحافَـةِ بَيْـنَ ١٩٤٧ و١٩٥٠، لَـمْ يَخْـلُ مِـنْ خِفَّـةِ إسْكَـندَرَ الأوَّلِ وعَبَـثِهِ، وَلا خَـلا مِـنَ الاسْـتِهانَةِ بِـتِلْكَ النَّجاحـاتِ رَغْـمَ سَـعْيِهِ إلَيْهـا وحِرْصِـهِ، مـا أمْكَـنَ، علـى الفَـوْزِ بِهـا وَلَـوْ كَلَّفَـهُ هـذا السَّـعْيُ والحِـرْصُ أنْ يَنْحـازَ بِـنَفْسِهِ عَـنْ صِـراطِ الاسْتِـقامَةِ السِّياسِـيَّةِ المُسْتَـقيم... ولكـنْ، هَـلْ فـي ذَلِـكَ مِنْـهُ مـا يُدْهِـشُ حَقًّـا... أَلَيْـسَ أنَّ مَـنْ شَـبَّ علـى شَـيْءٍ شـابَ عَلَيْـه؟...

لا يُبْدي إسكندر رياشي مِنْ حاجَةٍ إلى مُوجِبٍ أخْلاقِيٍّ ـ مِنْ قَبيلِ أنَّهُ يُبْصِرُ القَذَى الذي في عَيْنِهِ والذي في عُيونِ الآخرينَ سَواءً بِسَواء ـ لِيُعَلِّلَ صَراحَتَهُ وَتَجَرُّؤَهُ على نَفْسِهِ «حَيْثُ لا يَجْرؤُ الآخرون»، وإذْ لا يَحْتاجُ إلى هذا المُوجِبِ فَلِأنَّ الكَثيرَ مِنَ الآراءِ، ومِنَ الأحْكامِ العامَّةِ التي قد يَبْدو للقارِئِ وكأنَّهُ يُرْسِلُها جُزافًا هِيَ عِنْدَهُ مِنْ بابِ اليَقينِيَّاتِ التي لا تَحْتاجُ أنْ يَقومَ عَلَيْها دَليل: الإنْسانُ، ذَكَرًا أمْ أُنثى، هو، في المَحَلِّ الأوَّلِ، حَيوانٌ جِنْسِيٌّ، المالُ زينَةُ الحياةِ الدُّنْيا، اللُّبنانِيُّونَ أساتِذَةٌ في الفَسادِ والإفْساد، وهكذا دَوَالَيْكَ مِمَّا يَتَكَرَّرُ في هذا الكِتابِ وفي سِواه.

بالطبع، لَمْ يَسْتَسِغْ كُلُّ مُجَايِلِي الرِّياشيِّ صَراحَتَهُ في القَصِّ، عِلاوَةً على أُسْلوبِهِ المَكْشوفِ، ولكنَّ جَوابَهُ على هذهِ المؤاخَذَةِ، كما كانَ لِيَصِفَ الأمْرَ هُوَ نَفْسُهُ، «تَحْتَ باطِه»: «قَدْ يَلومُنا بَعْضُ قُرَّائِنا، كَما أخَذُوا يَفْعَلونَ مُنْذُ بَدَأْنا في

نَشْرِ مُذَكِّراتِنا زاعِمينَ أنَّنا نَدْأَبُ في كِتاباتِنا دَوْمًا لِتَوْسِيخِ، واسْتِصْغارِ مُواطِنينا، ولكِنْ طالَما الحَقيقةُ هَكذا، وَطَالَما هَؤلاءِ مُوسَّخونَ وصِغار، فلَيْسَ مَطْلوبًا مِنَّا أنْ نَقولَ عَنْهُم إنَّهُم نُظَفاءُ وكِبار».[٢٧]

وعلى أنَّ الرِّياشيَّ، في زَهْوِهِ بِنَفْسِهِ وخُيَلائِهِ، لا يَعْتَرِفُ، جِهارًا نَهارًا، بِفَضْلِ رُوَّادٍ مِنْ أهْلِ الصِّنْفِ أخَذَ عَنْهُم، أوْ تَأَسْتَذَ على مُطالَعَتِهِم، فَهُوَ لا يَخْلو، هُنا وهُناك، في ما يُشْبِهُ الإبْراءَ الحَيِيَّ لِذِمَّتِهِ، مِنَ الإحالَةِ إلى كُتُبٍ وكُتَّابٍ لا تَخْفَى أفْضالُهُم عَلَيْهِ، وفي الطَّلِيعَةِ، لَرُبَّما، مِنْ هَؤلاءِ البريطانيُّ، المُتَأَمْرِكُ على خَواتِيمِ حياتِه، فرانك هاريس الذي ما يَكادُ الرِّياشيُّ أنْ يُقِرَّ بما لَهُ مِنْ «عِظَةٍ وشَفاعَةٍ» فيه حتَّى يَسْتَدْرِكَ بأنَّ هاريس ـ على فارِقِ السِّنِّ بَيْنَهُما حَيْثُ إنَّ هاريس يَكْبُرُ الرِّياشيَّ في السِّنِّ بِنَحْوِ خَمْسَةٍ وثلاثينَ عامًا ـ «كان يَكْتُبُ حَسَبَ طريقَتِنا فيُسَمِّي الأشياءَ بأسْمائِها تَمامًا حتَّى ولو كانَتْ تُغْضِبُ السَّمْعَ» ـ يَقْصِدُ طَريقَتَهُ هُوَ، إسكندر رياشي![٢٨]

(٢٧) **الأيَّام اللبنانيَّة**، لا ذِكْرَ لِناشِرٍ ولا لِتاريخِ نَشْر، صفحة ٣٦٥.

(٢٨) **الأيَّام اللبنانيَّة**، صفحة ٢٢٥. في السِّياقِ نَفْسِهِ، يُشيرُ الرِّياشيُّ أيضًا إلى د. أتش. لورنس مُؤَلِّفِ كِتاب **عشيق اللّيدي تشاترلي** ولكِنَّهُ يَتَجَنَّبُ رَفْعَ الكُلْفَةِ بَيْنَهُما على غِرارِ ما يَفْعَلُهُ عِنْدَ الكَلامِ على هاريس!

وإنَّما نَذْكُرُ فُلانًا مِمَّنْ يَدينُ لَهُمُ الرِّياشيُّ الكاتِبُ، بِقليلٍ أو كَثيرٍ، لأنَّ مُؤَلَّفاتِ الرَّجُلِ، لا تُسَلِّي فَقَطْ وَتُرَفِّهُ، وتَهْتِكُ الأقْداسَ، وتَعْمُرُ بِمَعْلوماتٍ لا يُكْتَبُ تاريخٌ لِهذهِ البِلادِ دونَ أخْذِها، وَلَوْ شَيْئًا ما في الاعْتِبار، وتَذْهَبُ أحْيانًا إلى تَحليلاتٍ لِفُصولٍ مِنْ هذا التَّاريخِ جَديرَةٍ بالتَّأَمُّل فيها ـ نقول: لأنَّ مُؤَلَّفاتِ الرَّجُلِ شاهِدٌ على نَثْرٍ مُدْهِشٍ تَتَراءَى فِيهِ، يَدًا بِيَدٍ، ثَقافَةُ الرِّياشي «العَرَبِيَّةُ»، وتأثيراتُ اللُّغاتِ الأُخرى التي كان يُتْقِنُها، إلى جانِبِ فِطْرَتِهِ العامِّيَّةِ، وهو نَثْرٌ لا يَخْفى ما تَسَرَّبَ مِنْهُ إلى أقْلامٍ أخْرى وأقلامٍ آخرين، وإنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ المُلاحَظَةِ ـ ولو أنَّ هذا المَوْرِدَ يَحتاجُ إلى بَحثٍ مُستَفيضٍ لا مَحلَّ لهُ في هذه العُجالَةِ ـ أنَّ اللُّغاتِ الكَثيرةَ التي يَكْتُبُ بِها الرِّياشي، في آنٍ واحِدٍ، إنَّما تَتَمَخَّضُ عَنْ ذَلِكَ النَّثْرِ المُدْهِشِ، على رَكاكَتِهِ أحْيانًا، لأنَّها، تِلْكَ اللُّغاتِ، لا تَتَجاوَرُ جِيرَةَ عَفافٍ فَتَكْتَفي كُلُّ واحِدَةٍ مِنْها بِأنْ تُساهِمَ سَهْمَها تَحْتَ قَلَمِهِ، بَلْ تَتَخالَطُ وتَتَداخَلُ وتَتَراكَبُ، بَلْ و«تَعْمَلُ الحُبَّ»،[٢٩]

---

(٢٩) يَبْدو أنَّ الرِّياشيَّ هو صاحِبُ هذِهِ التَّرْجَمَةِ (الحَرْفِيَّةِ) لـ *Faire l'amour* ونَظيرَتِها الإنْكليزيَّةِ *To make love*. في عَدَدِ «**المَعْرِض**» المُؤَرَّخِ ٧ شباط ١٩٣٢، تَحْتَ عُنْوان «مقتل مُومِس في بيروت»، يَرِدُ الخَبَرُ الآتي: «تَقْطُنُ في المَنْزِلِ رَقَمِ ١١ في شارِعِ المُتَنَبِّي امْرأةٌ تُدْعَى حَنَّة عبد الله الحَلَبِيَّة، تَسْكُنُ مَعَها فَتاةٌ مَعروفَةٌ باسْمِ روزالي، وَهُما تَمْتَهِنانِ الدَّعارَة. وقَدْ وُجِدَتْ حَنَّة مَقْتولَةً خَنْقًا في غُرْفَتِها خِلالَ الأُسْبوعِ الفائِتِ وذلِكَ على إثْرِ اجْتِماعِها بِثَلاثَةِ أشْخاصٍ قَضَوْا بِضْعَ ساعاتٍ وإيَّاها في شُرْبِ البيرة و«فِعْلِ الحُبِّ» على لُغَةِ الصِّحافي التَّائه».

على مَـلإٍ مِـنَ القُـرَّاءِ لا يَرُدُّهـا عَـنْ ذَلِـكَ حَيـاءٌ مَكْـذوبٌ أو حِشْـمَةٌ مُفْـتَـعَلَة .

علـى صَهْـوَةِ هـذِهِ اللُّغَـةِ العَرْجـاءِ التـي لا يَبْـدو أنَّهـا اسْتَـنْـقَـصَتْ يَوْمًـا مِـنْ قَـدْرِ الرِّيـاشـيِّ بَيْـنَ زُمـلائِـهِ، أو أنَّـهُ اسْـتعابَها أوْ حـاوَلَ لَهـا إصْلاحًـا، اخْـتالَ فـي مَلاعِـبِ السِّياسَـةِ والصِّحافَـةِ وتَبَخْـتَرَ، فَـإذا تَفَقَّـدْتَ مَحاضِـرَ «الجَمْعِيَّـة الوَطَنِيَّـة للشَّـبيبَةِ السُّـوريَّة» لِسَـنَةِ ١٩١٩ ألْفَيْتَـهُ هُنَـاكَ «ضَيْـفَ شَـرَف»،[٣٠] وَإذا أرَادَ سـعيد فريحـة، مَطالِـعَ الأرْبَعينيَّـاتِ، أن يُثْـبِتَ مَكانَةَ **الصيَّاد** اسْتَكْتَـبَهُ فَكَتَبَ مَقالَـةً يَصِحُّ فـي ما تَرَكَـتْهُ مِـنْ دَوِيِّ قَـوْلُ المُتَنَـبِّي «...كأنَّمـا تَـداوَلَ سَـمْعَ المَـرْءِ أنْمُلُـهُ العَشـرُ»،[٣١] وإذا تَحَـرَّتْ وِكالَـةُ الاسْـتِخباراتِ الأميركيَّـةِ علـى أواخِـرِ ١٩٤٨ عَـنْ سَـعْي الشُّيوعيِّـينَ إلـى تَنْظيـمِ إضرابـاتٍ فـي سـوريا ولبنـانَ تَجِـدُ كاتِـبَ التَّـقْريرِ يُشـير إلـى أنَّ اجْتِماعًـا عُقِـدَ فـي ٢٢ تشـرين الثَّانـي مِـنْ تِلْـكَ السَّـنَةِ «فـي مَكْتَـبِ الرِّياشـي وبِرِئاسَـتِهِ» وأنَّ الرِّياشـيَّ «دافَـعَ

أكبر قبضة قبضتها، مجلة الصياد، ٢ شباط ١٩٤٤

(٣٠) «الجَمْعِيَّـة الوَطَنِيَّـة للشَّـبيبَةِ السُّـورِيَّة» هِـيَ المُنْتَـدى الثَّقافِيُّ/السِّياسِـيُّ الـذي رَعَـاهُ شـارل قـرم، وكانـت «**المجلـة الفينيقيَّـة**»، فـي أوَّلِ أمْرِهـا لِسـانَ حالِـه. المَحْضَـرُ المُشـارُ إلَيْـهِ مُـؤَرَّخٌ فـي ٢٣ شـباط ١٩١٩ وفـي خِزانَـةِ «أمـم للتوثيـق والأبحـاث» صُـورَةٌ ضَوْئِيَّـةٌ عَنْـه.

(٣١) عنـوانُ المَقالَـةِ «أكْبَـرُ قَـبْضَةٍ قَبَضْتُها فـي حياتـي!...»، **الصياد**، ٢ شـباط ١٩٤٤، ويَسِـمُها فريحـة فـي مَحَـلِّ التَّـوْقيعِ بـ «بِقَلَـمِ أُسْـتاذِنا... إسـكندر الرِّيـاشـي».

خِلالَـهُ عَـنِ العُـمَّالِ»،[٣٢] وإذا ينشـر يوسـف حنّـا عقـل **فَضائِـح عَهْـدِ شَـمْعون** تَجِـدُ لَـهُ فيهـا نَصيبًـا،[٣٣] وإذا وإذا وإذا إلـى مـا هُنـاكَ مِمَّـا يَخْطُـرُ بِبـالٍ ولا يَخْطُـر...

علـى السَّـبعينَ مِـنَ العُمْـرِ، فـي تشـرين الثانـي ١٩٦١، بَعْـدَ حَياةٍ أقَلَّ مـا يُقـالُ فيهـا إنَّهـا حَيَـواتٌ عاشَـها تَـتْرَى، وإنَّـه أدَّى فيهـا مـا اسْـتَطاعَ مِـنْ أقْسـاطٍ إلـى الحَيـاةِ الدُّنْيـا، ماتَ إسكندر رياشي!

وإذْ يَحْلـو للنَّاظِـرِ فـي سـيرَةِ الرَّجُـلِ، مِـنْ حَيْـثُ مـا انْتَهـى إلَيْـهِ لُبنـانُ يَوْمـذاك، أنْ يَذْهَـبَ إلـى أنَّـهُ مـاتَ، فـي مـا مَاتَـهُ، مِـنْ سَـأَمٍ بِلُبْـنانَ ومِـنْ أَيَـسٍ بِـهِ وضيـقِ ذَرْعٍ لا عَـوْدَةَ عَنْـه، فهـذا، فـي الحَقيقَـةِ، مـا يُمْكِـنُ أنْ يُؤَكِّـدَهُ مـا انْـتَهى إلَيْـهِ امْتيـازُ **الصِّحافـي التَّائِـه** مِـنْ مصيـر... ففـي تشـرين الثانـي ١٩٥٩، حـازَتْ **صَـوت العُروبَـة**، النَّاطِـقَةُ باسْـمِ «حِـزْبِ النَّجَّـادَة»، تَرْخيصَها كـيَوْمِيَّةٍ سِياسِـيَّةٍ بهـذا الاسْـمِ علـى أنْقـاضِ امْتِـيازَيْ **أبَابيـل**[٣٤] و**الصِّحافـي التَّائِـه**،[٣٥] فَـتَأَمَّـل... تَأَمَّـلي... **[الهامش٣٥ ص٣٥]** لَـمْ يَحْتَـجِ الرِّياشـيُّ إلـى مَـنْ يُسِـرُّ

(٣٢) مراجعة:
https://www.cia.gov/library/readingroom/docs/CIA-RDP82-00457R002200080004-9.pdf

(٣٣) يُقَـدِّمُ صاحِـبُ **الفَضائِـح** لِمَقالَتِـهِ المُعَنْوَنَـةِ «هَمْسَـة فـي أُذُنِ الأُسْـتاذِ إسْـكَنْدر رِياشـي» بالكَلِمـاتِ التَّالِيَـة: «يَمَـلُّ الإنْسَـانُ أحْيانًـا مِـنَ التَّحَـدُّثِ عَـنْ شَـخْصٍ أوْ إلـى شَـخْصٍ واحِـدٍ، وهـذا مـا حَـدَثَ معـي. وإذْ كُنْـتُ أُتابِـعُ قِـرَاءَةَ عُجالاتِ الأُسْـتاذِ الظَّرِيـفِ إسْـكَنْدَر رياشـي وهـوَ يُدافِعُ عَـنِ العَهْـدِ بِقُـوَّةٍ، وَيَدَّعـي بأنَّـهُ لا يَقْبِـضُ، وَيُدافِـعُ عَـنْ سـامي الصُّلْـح بِضَـرَاوَة، وَيَزْعُـمُ أيْضًـا بأنَّـهُ لا يَقْبِـضُ، مَـعَ أنَّـهُ كَمـا كانَ يَقـولُ هـوَ عَـنْ نَفْسِـهِ إنَّـه «رَبّ مَـنْ قَبَـض»، وبالوَقْـتِ نَفْسِـهِ كانَ يَتَّهِـمُ جَميـعَ الصَّحَفِيِّيـن، وخاصَّـةً المُعارِضيـنَ مِنْهُـم بالقَبْـضِ، فَدَاعَبْتُـهُ بالمَقـالِ التّالـي، الـذي نشـر فـي مَجَلَّـةِ «**المجالـس**» بالعـدد ١٦١ تاريـخ ١٩٥٧/٣/١٥»، **فَضائِـحُ عَهْـدِ شَـمْعون**، يوسـف حنّـا عقـل، ص. ٧٧ ومـا يليهـا. مِـنَ الوَاضِحِ أنَّ صاحِبَ الفَضائِحِ هـذِهِ يَحْبِـسُ قَلَمَـهُ عَـنْ ذَمِّ الرِّياشِـيِّ ذَمًّـا مُحَقَّـرًا علـى غِـرارِ مـا يَكـونُ مِنْـهُ فـي جَنْـبِ آخَريـنَ مُكْتَفِيًـا بالمُؤاخَـذَةِ الرَّقيقَـةِ، وَلَعَـلَّ فـي هـذا «التَّمْييـزِ الإيجابـيِّ» شـاهِدًا إضافِيًّـا علـى مَحَـلِّ الرِّياشـي مِـنَ المَشْـهَدِ اللُّبنانـيِّ عُمومًـا وَمِـنَ المَشْـهَدِ الصِّحافِـيِّ علـى وَجْـهِ الخُصـوص...

(٣٤) لِصاحِبِهـا ومُنْشِـئِها حسـين مُحيـي الديـن الحبّـال ومِـنْ بَعْـدِهِ لِوَرَثَـتِهِ. مراجعـة: يوسـف قزمـا خـوري، **مدوَّنـة صحافـة لبنـان**، ص. ١٢ ـ ١٣، تُـراث، بيـروت ٢٠٠٣.

إلَيْـهِ مُعاتِبًـا بـأنَّ هـذِهِ النِّهايَـةَ «المَأسَـاوِيَّة» لا تَليـقُ بِـهِ ولا بـ **الصِّحافـيِّ التَّائِـه**. كذلـك، وفـي مـا يُشْـبِهُ الانْتِـقامَ لِـنَفْـسِهِ مِنْهـا، أو صَحْـوَةَ المَـوْتِ أوِ الوَصِيَّـةَ، اسْـتَحْصَلَ فـي آذارَ مِنَ العـامِ التَّالي، ١٩٦٠، على رُخْصَـةِ إصْـدارِ «مَطْبوعَـةٍ أسـبوعيَّةٍ أدبـيَّةٍ رِوائيَّـة بوليسـيَّةٍ غَيْـرِ سِياسِـيَّةٍ بالعَرَبيَّـةِ والفَرَنْسِـيَّةِ والإنْكليزيَّـةِ» تَحْـتَ اسْـمِ **الأرْبَعـون حَرَامـي**![٣٦] لـم يُمَـدَّ فـي أجَـلِ الرِّياشـيِّ لِـيُصْدِرَ **الأرْبَعـون حَرَامـي** ولكـنْ «إنَّمـا لِـكُلِّ امْـرِئٍ مـا نَـوى» وحَسْـبُهُ مـا نَـوَى...

لَيْـسَ فـي المَراثـي التـي نَشَـرَتْها الصُّحُـفُ يـوم مـاتَ الرِّياشـيُّ، والتـي أُتيـحَ لنـا أنْ نُطالِعَهـا، مَرْثِيَّـةٌ واحِـدَةٌ وَفَّـتِ الرَّجُـلَ حَقَّـهُ بـأنْ أشـارَت، وَلَـوْ مِـنْ طَـرَفٍ خَفِـيٍّ، إلـى مـا تَلَوَّنَـتْ بِـهِ حياتُـهُ مِـنْ ألْـوَان. فإنَّمـا اكْتَـفَتْ هـذِهِ المَرَاثـي بِأنَّـهُ كانَ عَلَمًـا مِـنْ أعْـلامِ الصَّحافَةِ، ذا قَـلَمٍ أنيـقٍ، وظَرْفٍ لا يُشَـقُّ لَـهُ غُبار، ضارِبَـةً صَفْحًـا عَمَّـا فـي صَحيفَـةِ الرَّجُـلِ مِمَّـا لَيْـسَ فـي صَحيفَـةِ سِـواه، كأنَّ هـذِهِ المَراثـي إنَّمـا تَعَمَّـدَتِ التَّسَـتُّرَ، والتَّسْـتيرَ، علـى كُلِّ مـا كانَ، هـو، طَـوالَ حَياتِـهِ،

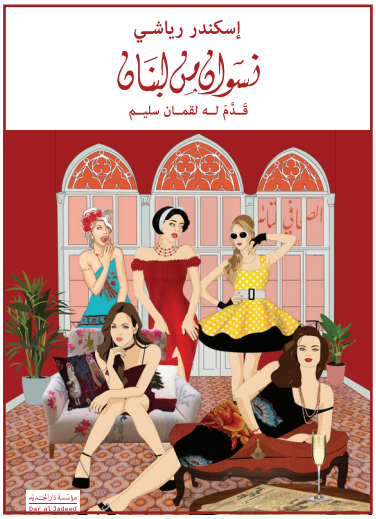

نسوان من لبنان، إسكندر رياشي، سلسلة طبق الأصل، مؤسّسة دار الجديد، ٢٠٢٢

(٣٥) فَـوَفْقَ المَرْسـومِ الاشْـتِراعيِّ ٧٤، (١٣ نيسـان ١٩٥٣): «إلـى أنْ يُصْبِـحَ عَـدَدُ المَطْبوعـاتِ الدَّوْرِيَّـةِ السِّياسِـيَّةِ فـي جَميـعِ الأراضِـي اللُّبنانيَّـةِ خَمْسًـا وعِشْـرينَ مَطْبوعَـةً يَوْمِيَّـةً سِياسِـيَّةً، وعِشْـرينَ مَطْبوعَـةً سِياسِـيَّةً مَوْقوتَـةً، يَكـونُ مَجْموعُهـا علـى الأقَـلِّ خَمْـسَ عَشْـرَةَ مَطْبوعَـةً يَوْمِيَّـةً عَرَبِيَّـةً واثْـنَيْ عَشْـرَةَ مَوْقوتَـةً عَرَبِيَّـةً، لا يُعْطَـى تَرْخيـصٌ باسْـمٍ جَديـدٍ لِمَطْبوعَـةٍ دَوْرِيَّـةٍ سِياسِـيَّةٍ يَوْمِيَّـةٍ أو مَوْقوتَـةٍ إلّا لِمَـنْ كانَ يَمْلِـكُ صَحيفَتَـيْنِ مِـنْ نَـوْعِ الصَّحيفَةِ المَطْلـوبِ إصْدارُهـا تَتَوَقَّـفانِ نِهائِيًّـا عَـنِ الصُّـدورِ لِقـاءَ التَّرْخيـصِ المَطْلـوب...».

(٣٦) **مُدَوَّنة صِحافَة لُبنان**، ص. ٣١، مَصْدَر سَبَقَتِ الإشارَةُ إلَيْه.

يُشْـهِرُهُ، ويَدْعـو إلـى إشْـهارِه، وَيَجْهَـرُ بِـهِ، وَيَحُـثُّ علـى الجَهْـرِ بِـه...

صَحيـحٌ أنَّ المَـوْتَ مُفْجِـمٌ، وأنَّ مُنْـتَهى هـذه المَراثي أنْ تُـقْرأَ علـى أنَّهـا كَلامُ مُجامَـلاتٍ لا أكْثَـرَ ولا أقَـلَّ ولكِـنَّ الإجْمـاعَ اللُّبنانـيَّ، أو مـا يُشْـبِهُ الإجْمـاعَ، علـى دَفْـنِ الرَّجُـلِ تَحْـتَ هَـذِهِ المَراثـي، ثُـمَّ علـى دَفْـنِهِ ثانِيَـةً بالاكْتِفـاءِ مِـنْ إحْيـاءِ ذِكْـرِهِ بالحَـدِّ الأدْنـى الـذي لا مَفَـرَّ مِنْـه، مـا يَدْعـو إلـى الرِّيبَـةِ والتَّوَجُّـسِ شـأنَ مـا يَدْعـو إلَيْـهِ كُلُّ إجْمـاعٍ لا ثُـلْـمَةَ فيـهِ ولا خَـرْم...

بَيـدَ أنَّـهُ لا لُغْـزَ فـي هـذا الإجْمـاعِ ولا مَـنْ يُلَـغِّزونَ: حَسْـبُ الواحِـدِ مِنَّـا والوَاحِـدَةِ أنْ يُولِـمَ لِـنَفْسِهِ علـى مَأْدُبَـةِ الرِّياشـيِّ، وهـذا الكِتـابُ ـ نسـوان مـن لبنـان ـ مِـنْ أطْبـاقِ هـذِهِ المَأدُبَـةِ، لِـيَتَبَيَّن أنَّ الرَّجُـلَ لا يَصْلُـحُ أن يُرفَـعَ فـي مَحَـلِّ «المَفْخَـرَةِ الوَطَنِيَّـةِ» التـي تَأْتَسـي بهـا الأجيـالُ الطَّالِعَـةُ، ولا أنْ يُنْصَـبَ مِثـالًا أعْلـى يُمْكِـنُ لطائِفَـتِهِ أنْ تُـنابِذَ بِـهِ رَصيفاتِهـا، وَلِـيَتَبَيَّنَ أنَّ نِسْـيانَهُ، اسْـتِطرادًا، إنَّمـا هـو بَعْـضٌ مِـنَ «العَفْـوِ العَـامِّ» الـذي لا يَنِـي هـذا البَلَـدُ يَعْفـوهُ، بـلا كَلالَـةٍ، عَـنْ نَفْسِـهِ وعَـنْ سِـيرَتِه وعـنِ ارْتِكاباتِـهِ... لَعَلَّـهُ كَذَلِـكَ ولَـكِنْ، لِحُسْـنِ الحَـظِّ، أنَّ الشُّـفَعاءَ مِـنَ الحَيـاةِ، ومِـنَ البُلْـدان، ومِـنَ اللُّغـاتِ، لَيْسـوا، دائمًـا، أبْناءَهـا المَياميـنَ ولا بَناتِهـا المُحْصَنـات![٣٧]

[كانـون الثاني، ٢٠٢١]

(٣٧) غَنِـيٌّ عَـنِ القَـوْلِ أنَّ هـذِهِ المُقَدِّمَـةَ لا تَدَّعـي التَّمـامَ والإحاطَـة. إنَّمـا هـي، فـي عُرْفِنـا، «مُسَـوَّدَةٌ» بِرَسْـمِ التَّنْقيـحِ، وَ«دَعْـوَةٌ مَفْتوحَـةٌ» إلـى المُسـاهَمَةِ فـي كِتابَـةِ سـيرَةِ الرِّياشـيِّ ـ بَلْ سِيَرِه.

حـازم صاغيـة
Hazem Saghieh

حِيـنَ يَكْتُبُ لُقْمَانُ سـلِيمٍ
عَنْ إِسْـــكَنْدَرَ رِيَاشِـــيّ

بَيْـنَ إِسْـكَنْدَرَ رِيَاشِـيٍّ المَوْلُـودِ فـي سَـنة ١٨٩٠ ولُقْمَـانَ سـلِيمٍ المَوْلُـودِ فـي سَـنة ١٩٦٢، زَمَـنٌ يَتَعـدَّى العُقُـودَ السَّـبْعَة، نَشِـبَتْ خِلالَـهُ حَرْبَـانِ عَالَمِيَّتَـانِ، وَانْهـارَتْ إِمْبِرَاطُورِيَّـاتٌ، ونَشَـأتْ بُلْـدَانٌ، فـي عِدادِهَـا بَلَدُنَـا، وَانْدَثَـرَتْ أُخْـرَى، كَذَلِـكَ حَصَـلَ فِيـهِ مِـنَ الْهَزَّاتِ والتَّحَـوُّلَاتِ، الوَطَنِيَّـةِ مِنْهَـا وَالعَرَبِيَّـةِ وَالْكَوْنِيَّـة، مَـا لَا تَتَّسِـعُ لِذِكْـرِهِ مُجَلَّـدَاتٌ.

هكَـذَا يَبْـدُو أَوَّلَ وَهْلَـةٍ أَنَّ مِـنَ الصَّعْـبِ انْضِـوَاءَ الِاثْنَيْـنِ فِـي مِـزَاجٍ وَاحِـدٍ، أَوِ اشْـتِرَاكَهُمَا فِـي حَسَاسِـيَّاتٍ تَعْبُـرُ ذَاكَ الزَّمَـنَ العَرِيـضَ، وَمَـا انْطَـوَى عَلَيْـهِ مِـنْ شُـؤُونٍ وَشُـجُونٍ.

مَعَ هَذَا، فَقَدْ فَعَلَا.

هَـذَا، عَلَـى الأَقَـلِّ، مَـا نَسْتَشِـفُّهُ مِـنَ المُقَدِّمَـةِ الَّتِـي كَتَبَهَـا لُقْمَـانُ عَـنْ إِسْـكَنْدَرَ رِيَاشِـيٍّ، وَالَّتِـي تُشْـبِهُ مُحَاوَلَـةً فِـي البَعْـثِ أَوْ فـي الِاسْـتِعَادَةِ، وأيضًـا تَنْطَـوِي عَلَـى حَنِيـنٍ إِلـى مَـنْ لَـمْ يَعْرِفْـهُ شَـخْصِيًّا صاحِـبُ الحَنِيـنِ، ولَا كانَ مُمْكِنًـا أَنْ يَعْرِفَـهُ.

لَكِنْ، بَعْثُ مَاذَا بِالضَّبْطِ، والحَنِينُ إِلى مَاذا؟

لَقَـدْ أَعْطَـى لُقْمَـانُ مُقَدِّمَتَـهُ عُنْوَانًـا أَوْحَـى أَنَّـهُ يُلَخِّـصُ رَأْيَ رِيَاشِـيٍّ

الضِّمْنِـيَّ فـي أَحْـوالِ الدُّنْيـا. أَمَّـا ذَاكَ العُنْـوَانُ، فَلَيْـسَ سِـوَى عِبـارَةِ «البَاطِـلُ يُحَرِّرُكُـمْ». وهِـيَ، كمَـا نَعْلَـمُ، مُعارَضَـةٌ صَرِيحَـةٌ لِعِبـارَةِ المَسِـيحِ الشَّـهِيرَةِ فـي إِنْجِيـلِ يُوحَنَّـا: «الْحَـقُّ يُحَرِّرُكُـمْ»؛ أَيْ أَنَّنَـا هُنَـا مَـعَ رِيَاشِـيٍّ ـ وَفْـقَ تَأْوِيـلِ لُقْمَـانَ لَـهُ ـ نَسْـبَحُ فـي عَالَـمِ اللَّاصَـوَابِ، سِيَاسِـيًّا كانَ الصَّـوَابُ أَمْ غَيْـرَ سِيَاسِـيٍّ. وكَيْـفَ يُطْلَـبُ إِتْيـانُ «الصَّـوَابِ» مِـنْ «تَائِـهٍ»، عَمَـلًا بِالوَصْـفِ الَّـذِي اخْتَـارَهُ إِسْـكَنْدَرُ رِيَاشِـيٍّ لِنَفْسِـهِ وَلِجَرِيدَتِـهِ، «الصِّحَافِـيُّ التَّائِـهُ»؟

إِذًا نَحْـنُ حِيَـالَ شَـخْصٍ يَلْعَـبُ ويُلَاعِـبُ المُخَيِّلَـةَ والأَخْيِلَـةَ، يُسَـلِّي ويَتَسَـلَّى، ويُجَـرِّبُ بِنَفْسِـهِ وبِسِـوَاهُ، غَيْـرَ مُكْتَـرِثٍ لِمَـا يَقُـودُ إِلَيْـهِ ذَاكَ التَّجْرِيـبُ. إِنَّـهُ تَائِـهٌ عَـنْ «خَـطِّ التَّارِيـخِ»، وَعَـنْ «حَتْمِيَّاتِـهِ» و«ضَرُورَاتِـهِ»، لَكِنَّـهُ أَيْضًـا تَائِـهٌ عَمَّـا قَـدْ يَحْصُـلُ بَعْـدَ رُبْـعِ سَـاعَةٍ، أَوْ فِيمَـا وَرَاءَ أَكَمَـةٍ أَوْ يَنْبُـوعِ مَـاءٍ. ومَـعَ هَـذا الرَّحَّالَـةِ والكاتِـبِ والصِّحَافِـيِّ الَّـذِي كَانَـهُ رِيَاشِـيٌّ، نَرَانَـا نَتَعامَـلُ مَـعَ كائِـنٍ يَتَعاطَـفُ، أَوْ يَدَّعِـي التَّعَاطُـفَ، مَـعَ أَعْمَـالٍ وأَقْـوَالٍ يَسْـتَحِيلُ التَّعَاطُـفُ مَعَهـا، أَوْ أَنَّ الجَمِيـعَ تَوَاضَعُـوا ـ تَبَعًـا لِثَقافَـةٍ مَـا ـ علَـى أَنَّ التَّعاطُـفَ مَعَهَـا غَيْـرُ مُمْكِـنٍ ولَا مَقْبُـول. ولُقْمـانُ الَّـذِي كانَ علَـى بَيِّنَـةٍ مِـنْ ذَاكَ «التِّيـهِ» عَـنِ «الْحَـقِّ» و«الصَّـوَاب»، كانَ يُـدْرِكُ أَيْضًـا مَـا يَخْتَبِـئُ فـي تَضَاعِيـفِ السُّـلُوكِ والقَـوْلِ الرِّيَاشِـيَّيْنِ. فَـكَانَ فـي نَقْلِـهِ أَخْبَـارَ الرَّجُـلِ وأَقْوَالَـهُ يَحْتـاطُ بِتَدَخُّـلٍ اعْتِرَاضِـيٍّ مُتَكَـرِّرٍ: «عَلَـى ذِمَّتِـهِ»، أَوْ بِتَحَفُّظَـاتٍ أُخْـرَى مِـنْ هَـذا القَبِيـلِ.

أَبْعَـدُ مِـنْ هَـذا أَنَّ رِيَاشِـيًّا كانَ يَهْتِـكُ المُقَـدَّسَ، ولَـمْ يَـدَّعِ مَـرَّةً أَنَّـهُ قَوِيـمٌ أَوْ شَـرِيف، ولَـمْ يَنْسِـبْ إِلـى ذَاتِـهِ صِفَـاتٍ مَحْمُـودَةً، بَـلْ لَـمْ يَتَـرَدَّدْ فـي سَـرْدِ أَخْبَـارٍ عَـنْ نَفْسِـهِ تَضُـرُّ بِسُـمْعَتِهِ وتُؤْذِيهَـا. فَهُـوَ مِـنْ أُولَئِـكَ الَّذِيـنَ لَـمْ يَحْمِلُـوا أَشْـخَاصَهُمْ عَلَـى مَحْمِـلِ الْجِـدِّ، مُكْتَفِيـنَ بِحَمْـلِ شُـغْلِهِمْ عَلَـى ذَاكَ المَحْمِـل.

والحـالُ، أَنَّ الَّذِيـنَ رَثَـوْهُ تَعَمَّـدُوا «التَّسَـتُّرَ وَالتَّسْـتِيرَ عَلَـى كُلِّ مَـا كانَ هُـوَ ـ طَـوَالَ حَياتِـهِ ـ يُشْـهِرُهُ». فَنَسَـبُوا إِلَيْـهِ أَخْلَاقًا غَيْـرَ أَخْلَاقِـهِ، وجَـرَّدُوهُ مِـنْ أَخْـلَاقٍ كانَـتْ أَخْلَاقَـهُ، وأَيْضًـا «تَسَـتَّرُوا» عَلَـى مَوَاقِـفَ لَـهُ كَانَ فِيهَـا -مَثَـلًا لَا حَصْـرًا ـ مُحَبِّـذًا لِلانتِـدابِ الفَرَنْسِـيّ؛ ذَاكَ أَنَّ أُمُـورًا كَهَـذِهِ غَيْـرُ مَحْمُـودَةٍ أَخْلَاقِيًّـا وسِياسِـيًّا، وَفْـقَ المَوْقِـفِ «القَوِيـمِ» المُجْمَـعِ عَلَيْـهِ، والَّـذِي يُكَـرِّرُ مَـرَّةً بَعْـدَ مَـرَّةٍ الوَصْـفَ نَفْسَـهُ، الَّـذِي يُسْـبِغُهُ عَلَى سَـائِرِ المَوْصُوفِيـنَ «الشُّـرَفَاء» المَجْعُولِينَ شَـخْصًا وَاحِـدًا. ولِكَـوْنِ رِيَاشِـيٍّ، بِحَسَـبِ مَـا كَتَـبَ لُقْمَـانُ: «لَا يَصْلُـحُ أَنْ يُرْفَـعَ فِـي مَحَـلِّ «المَفْخَـرَةِ الوَطَنِيَّـةِ» (...) [و] لَا أَنْ يُنْصَـبَ مِثَـالًا أَعْلَـى يُمْكِـنُ لِطائِفَتِـهِ أَنْ تُنَابِـذَ بِـهِ رَصِيفَاتِهَـا»؛ فَـإِنَّ بَعْثَـهُ أَوْ إِحْيَـاءَهُ جَـاءَ يُحَـرِّرُهُ مِـنْ مَدَّاحِيـهِ الَّذِيـنَ صَـادَرُوهُ، ثُـمَّ زَوَّرُوهُ وكَذَّبُـوهُ، إِنْقَـاذًا مِنْهُـمْ لِمَـا تُوصَـفُ بِـهِ الأَخْـلَاقُ والوَطَنِيَّـة.

إِذًا هُنَـاكَ فِيمَـا أَقْـدَمَ عَلَيْـهِ لُقْمَـانُ، الكَثِيـرُ مِـنِ احْتِـرَامِ الـرَّاوِي الأَصْلِـيِّ، مِـنْ خِـلَالِ اعْتِمَـادِ رِوَايَتِـهِ عَـنْ نَفْسِـهِ وعَـنْ أَشْـيائِهِ. وهَـذا يَنْـزِعُ التَّفْخِيـمَ بِالضَّـرُورَةِ، ويُعِيـدُ الِاعْتِبـارَ لِلْحَيَـاةِ الفِعْلِيَّـةِ كَمَـا عِيشَـتْ، وكَمَـا قـال الرِّيَاشِـيُّ، غَيْـرَ هَيَّـابٍ: إِنَّـهُ عَاشَـهَا.

ويَصْعُـبُ القَـوْلُ إِنَّ خِفَّـةً مَـا هِـيَ الَّتِـي دَفَعَـتْ لُقْمَـانَ إِلـى هَـذِهِ المُهِمَّـة، وهُـوَ الَّـذِي أَوْغَـلَ فـي الجِـدِّ حَتَّـى المَـوْتِ اغْتِيَـالًا، بَعْدَمَـا كَـرَّسَ نَفْسَـهُ لِمَـا اعْتَقَـدَهُ جَلِيـلًا يَسْـتَحِقُّ المَـوْتَ والحَيَـاةَ. لَكِـنَّ عِبـارَةً كَتَبَهـا فـي مُقَدِّمَتِـهِ هَـذِهِ تَكْشِـفُ ذَاكَ اللُّغْـزَ المُحَيِّـرَ، وَقَـدْ أَثَـارَهُ فـي إِسْـكَنْدَرَ رِيَاشِـيٍّ ـ عَلـى مـا أَظُـنُّ ـ، وَهِـيَ: «مَـا تَلَوَّنَـتْ بِهِ حَياتُـهُ مِـنْ أَلْـوَانٍ». فَـإِنْ صَـحَّ هَـذا الظَّـنُّ كانَـتِ «الأَلْـوَانُ» مَـا أَغْرَى الكاتِـبَ بِالمَكْتُـوبِ عَنْـهُ؛ ذاكَ أَنَّ لُبْنـانَ المُلَـوَّنَ، مُمَثَّـلًا بِصِحَافِيِّنَـا التَّائِـهِ عَـنِ الصَّـوَابِ، هُـوَ مـا كانَ يُخاطِـبُ كاتِـبَ المُقَدِّمَـةِ، الَّـذِي فَتَـحَ عَيْنَيْـهِ علـى الدُّنْيـا فـي حيـنِ بَلَـدُهُ لـونٌ وَاحِـدٌ يُصَـارِعُ لَوْنًـا

وَاحِـدًا، ورَاوِيَـةٌ عَارِفَـةٌ وَاحِـدَةٌ تُنَاهِـضُ رِوَايَـةً عَارِفَـةً وَاحِـدَةً أُخْـرَى. هُـوَ إِذًا الحَنِيـنُ إِلـى لُبْنَـانَ الَّـذِي سَـمِعَ بِـهِ لُقْمَـانُ مِـنْ أَبِيـهِ، ومِـنْ مُجَايِلِـي أَبِيـهِ، قَبْـلَ أَنْ يَقْـرَأَ عَنْـهُ بِنَفْسِـهِ. وهُـوَ بالتَّأْكِيـدِ سَـمِعَ أَوْ قَـرَأَ، أَنَّ السِّياسَـةَ والصِّحافَـةَ فـي هـذا البَلَـدِ عَرَفَتَـا أَسْـمَاءً تَلْعَـبُ وتَسْـخَرُ وتَتَسَـلَّى، حِيـنَ كانَ لُبنـانُ «القَدِيـمُ» يَسْـمَحُ بِذَلِـكَ ويُتِيحُـهُ. فَأَسْـمَاءٌ كَسـامِي الصُّلْـحِ ومَـارُونَ عَبُّـودٍ وسَـعِيدِ فُرَيْحَـةَ وسَـلِيمِ اللَّـوْزِيِّ والمحامـي إِمِيـلَ لَحُّـودٍ، إِضَافَـةً إِلـى آخِـرِ حَبَّـاتِ هَـذا العُنْقُـودِ مُنَـحَ الصُّلْـحِ، كانَ أَصْحَابُهـا يَضْحَكُـونَ ويُضْحِكُـونَ، ويَتَسَـلَّوْنَ بِالمُقدَّسـاتِ ويُسَـلُّونَ بِهَـا. وهُـمْ لَمْ يَـرَوْا أَنَّ الحَيـاةَ تُحَالُ إِلـى سِياسَـةٍ، فـي حِيـنِ تُحَـالُ السِّياسَـةُ إِلـى عُنْـفٍ وجَرِيمَـة؛ حَتَّـى إِنَّ القَوْمِيِّيـنَ السُّـورِيِّينَ، الَّذِيـنَ جـاؤُوا مِـنْ مَصْـدَرٍ آخَـرَ يَسْتَسْـهِلُ العُنْـفَ، جَرَّهُـمْ لُبنـانُ اللَّاهِـي إِلـى أَنْ يَتَباهَـوْا بِمَـا يَظُنُّونَـهُ ظَرْفًـا فـي سـعِيدِ تَقِيِّ الدِّيـن.

هـذا مـا شَـرَعَتْ تُغَيِّـرُهُ الحَـرْبُ. فكَـمْ كانَ بَلِيغًـا مَثَـلًا أَنَّ تَعْبِيـرَ «شُـعَرَاءِ الجُنُـوبِ»، الَّـذِي كانَ يُطْلَـقُ علَـى شُـعَرَاءَ ـ فـي عِدَادِهِـمْ رِجَـالُ دِيـنٍ ـ يُدَاعِـبُ أَحَدُهُـمُ الآخَـرَ بِالأَهَاجِـيِّ السَّـاخِرَةِ والـوَدُودَةِ، إِنْ صَـحَّ الوَصْـفُ، بـاتَ هُـوَ نَفْسُـهُ تَعْبِيـرًا يَصِـفُ الدَّعَـوَاتِ المَوْزُونَةَ أَوِ المُقَفَّـاةَ إِلـى إِحْـراقِ الأَرْضِ، وقِتـالِ العَـدُوِّ حَتَّـى الرَّمَـقِ الأَخِيـرِ. وليـس صُدْفَـةً أَنَّ الحَـرْبَ أَنَّمَـا رَافَقَـتْ سُـطُوعَ نَجْـمِ السِّيَاسِـيِّ اليابِـسِ، الَّـذِي يَتزَعَّـمُ عَـدَدًا مِـنَ المُقاتِلِيـنَ مِمَّـنْ يُناظِرُونَـهُ يَبَاسًـا، ويَحُضُّهُـم علـى القَتْـلِ والقِتـال. وكَـمْ هُـوَ دالٌّ أَنَّ قَـادَةَ القِتـالِ ومُؤَسِّسِـيهِ فـي أَوَاسِـطِ السَّـبْعِينِيَّاتِ، كانَ مِنْهُـمْ رَئِيـسُ جُمْهُورِيَّـةٍ لا يُطِيـقُ المَدِينَـةَ كَسُـلَيْمَانَ فَرَنْجِيَّـةَ، ورَمْـزٌ مِـنْ رُمُـوزِ صُوفِيَّـةِ الأَرْضِ هُـوَ بِيـار الجمَيِّـلِ، وزَعِيـمٌ لَـمْ تَكْفِـهِ صُوفِيَّاتُـنَا المَحَلِّيَّـةُ فَاسْـتَعانَ بِصُوفِيَّـاتِ الهِنْـدِ كَكَمَـالِ جُنْبُـلَاطَ، فَضْـلًا عَـنْ رَجُـلِ دِيـنٍ كَانَـهُ

مُوسَـى الصَّـدْرِ! مُـذْ ذَاكَ لَـمْ يَكُـفَّ اليَبَـاسُ عَـنِ النُّمُـوِّ وُصُـولًا ـ فـي يَوْمِنَـا هَـذا ـ إلـى تَرَبُّـعِ حَسَـنِ نَصْرِ اللـه، مُتَجَهِّمًـا صَارِخًـا فـي وُجُوهِنـا، فـي مِنَصَّـةِ اليَبَـاسِ الأَعْلَـى.

ومِثْلَمَـا ضَـاقَ قامُـوسُ الأفْعـالِ ضـاقَ قامُـوسُ الـكَلامِ، فَبـاتَ وَصْـفُ «الشُّـرَفَاءِ» يُطْلِقُـهُ المُحازِبُـونَ علـى قادَتِهِـمْ وعلـى رِفاقِهِـمْ وَصْفًـا أَوْحَـدَ، غَيْـرَ عِابِئِيـنَ بِمَـا فَعَلَـهُ مَاكِيَافِيلِّـي قَبْـلَ نَيِّـفٍ وخَمْسَـةِ قُـرُونٍ، حِيـنَ فَصَـلَ عَالَـمَ الشَّـرَفِ عَـنْ عَالَـمِ السِّيَاسَـة.

هَكَـذا كانَ لُقْمـانُ، وهُـوَ يَحْتَفِـلُ بِإِسْـكَنْدَرَ رِيَاشِـيٍّ، إِنَّمَـا يَحْتَفِـلُ بِلُبْنـانَ المُلَـوَّنِ. فَكَأَنَّـهُ كانَ يَحْـدِسُ أَنَّ اللَّـوْنَ الواحِـدَ والرِّوايَـةَ الواحِـدَةَ يَقْتُـلَانِ. وبِالفِعْـل، مَـا لَبِـثَ هَـذانِ الوَاحِـدَانِ أَنِ انْقَضَّـا علـى لُقْمَـانَ نَفْسِـهِ.

•

Greater Lebanon is born
Iskandar Riachi - Lokman Slim

Born in 1890, in Kinshara, Mount Lebanon, Iskandar Riachi was more than a journalist and prolific writer who founded multiple newspapers, such as Al Sahafi Al Taeh (The Wandering Journalist), and even one in New York.

He had a proclivity for sarcasm and was undeterred in touching upon topics most people shied away from. He called things as they were and said what should not be said-and did so with humor and irony. He injected lightheartedness into politics. His masterful command of the French language found him work as a translator and advisor for the French governor of Zahlé, Bekaa Valley, a strategic region between Syria and Lebanon. Some contend he not only witnessed the region's historical events, but left his fingerprints on such happenings. Regardless of Riachi's proximity to the seminal events of the Levant, there is no detracting from the rich body of work he left behind and his brilliance as a writer. In 1961, at the age of 70, Iskandar Riachi died and his newspaper, Al Sahafi Al Taeh, was soon forgotten alongside his numerous books. As a freethinking liberal, conservative mainstream Lebanon could not bear such an individual.

In 2017, Lokman Slim found one of his books, Women from Lebanon, and from that day Iskandar was reborn. In collecting what can be collected of Iskandar Riachi's biography and books, Lokman was re-writing the dark chapters from Lebanon's contemporary history.

Dar al Jadeed will continue working on this fascinating project.

فَمَا مِنْ شَكٍّ بِأنَّ إسْكَنْدَرَ الرياشِيَّ ـ الرَّجُلَ ذا الوُجوهِ الكَثيرَةِ ـ حتَّى لَيُظَنَّ أنْ لا وَجْـهَ لَهُ وإنَّمـا وَجْهُهُ الأقْنِعَـةُ التي لا يَفْتَأُ يُبَدِّلُها ـ وَالصُّعْلوكَ الأنيقَ، وَ«الصِّحافِيَّ»، و«التَّائِهَ» في حَياتَيْهِ الشَّخْصِيَّةِ والعامَّةِ ـ مَا مِنْ شكٍّ بأنَّهُ، ومَنْ هُم في مَنزِلَتِهِ ـ أولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ شَياطينِ الإنْسِ المَكْتوبينَ، على غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُم، أحْيانًا كَثيرَةً، في خانَةِ «الأبْناءِ» مِنْ قَيْدِ لُبْنانَ ـ ما مِنْ شَكٍّ بأنَّ الرِّياشِيَّ يَسَعُهُ أنْ يَشْفَعَ بالبَلَدِ الصَّغيرِ، لُبنانَ، فَوْقَ ما يَسَعُ القِدِّيسينَ والأوْلِياءَ والأبْطالَ والشُّهَداءَ مِنْ ذَوي السِّيَرِ العَطِرَةِ حَدَّ الاخْتِناقِ بِعِطْرِها، والأخْلاقِ الرَّفيعَةِ حَدَّ الهُزالِ، والمَبادِئِ الرَّاسِخَةِ حَدَّ الشَّلَلِ، أنْ يَفْعَلوا ـ بَلْ أنْ يَفْعَلوا فُرادَى وبالاتِّحادِ... وإذ يَتَقَدَّمُ الرِّياشِيُّ هذا النَّفَرَ فلَيْسَ لأنَّهُ لَمْ يَخْشَ في الحَقِّ لَوْمَةَ اللُّوَّامِ، بَلْ لأنَّهُ لَمْ يَخْشَها في البَاطِلِ والضَّلالِ، وفي الخِفَّةِ والعَبَثِ واللَّهْوِ والمُجونِ... وفي التَّصْريحِ بِذلِكَ جَميعًا، وفي المُجاهَرَةِ به حتَّى لا يَدَعَنَّ لقائلٍ قِيلا ولا لِمُغْتابٍ نَمَّامٍ سَبيلا...